الإبدال في اللهجات
وأثر الصوت فيه

الأستاذ الدكتور عبد الجبار عبد الله العبيدي
جامعة الأنبار ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدَّمة

الإبدال في اللهجات ظاهرة صوتية تشيع في كل لغة من اللغات المعروفة يستطيع بوساطتها الدارس أن يتعرف الخصائص الصوتية في كل لهجة. وقد يقف الباحث مشدوهاً أمام هذا اللون من الدراسة حين يرى الفروق الصوتية واللغوية الكثيرة بين لهجات اللغة الواحدة. فيتساءل: كيف حصلت ومن أين أتت ؟ ولكن عندما يكون ملمَّاً بأسباب تكوّن اللهجات مدركاً لطباع الناطقين بها، وما يحيط بهم من فروق صوتية تحتم عليهم مراعاتها في كلامهم، يوقن بأن الذي تختلف فيه لهجات لغة قوم ما هو إلاّ إحدى الظواهر الاجتماعية التي لا غرابة فيها.

درستُ في هذا البحث شيئاً يسيراً من مظاهر الإبدال بين أصوات اللهجات العربية القديمة، فوجدت اختلافاً كثيراً بين تلك الأصوات في لهجات أهل الحجاز ولهجات أهل نجد، أو ما يسميهم المحدثون قبائل غربي الجزيرة العربية وقبائل شرقي الجزيرة.

ولم يقتصر الخلاف على الفروق بين لهجات القبيلتين من مقابلة بعضها مع بعض، وإنَّما شمل الفروق بين لهجات القبيلة الواحدة، بل الأفراد في كل لهجة لأنَّ ذلك شيء واقع يكتشفه الباحث. وبسبب طبائع أهل الحجاز وأهل نجد تبعاً للظروف اللغوية التي تكتنف بيئاتهم، فقد اشتهر كل من هؤلاء الأقوام بصفات صوتية تميزه من غيره. فالحجازيون اشتهروا: بالفتح، وتسهيل الهمز، وعدم مراعاة الانسجام، وهمس الأصوات، ورخاوتها، وعدم الإدغام، وترقيق الأصوات، والكسر. في حين اشتهر أهل نجد بالإمالة والضم، والجهر، وتحقيق الهمز، وتفخيم الأصوات، والإدغام، والشدَّة، والانسجام بين الأصوات. وقد

لاحظت من خلال البحث، أنَّ علماءنا القدماء وبخاصة الذين ألَّفوا في الإبدال لم يعزو من الأصوات التي نصَّوا على إبدالها إلى لهجاتها إلاّ القليل الذي لا يؤبه له.

ولهذا خضع ما قالوا بإبداله للدراسات الصوتية واللهجية الحديثة لأخرجته من الإبدال ووضعته في غيره أو لرفضته. وعلى الرغم من هذا فقد استطاع هؤلاء العلماء من طريق الرواية ومشافهة العرب أن يجمعوا هذا العدد الضخم من الألفاظ التي تضم كثيراً من الظواهر الصوتية في اللهجات فتلك الألفاظ مادة موضوعة بين يدي الباحثين المحدثين ليطلعوا من خلالها على أسرار لهجات العرب القديمة التي لا يزال أغلبها غامضاً.

اعتمدت في عزو الأصوات المبدلة على المفرو القليل في كتب الإبدال والمعجمات واللغة والنحو والقرارات الصحيحة والشاذة وبعض التفاسير، ثم على كتب المحدثين ممن تصدوا لدراسة اللهجات دراسة علمية، ثم على القليل الذي أعرضه من خصائص اللهجات. وكان لهذه الأمور الثلاثة أيضاً، فضل كبير في بيان المسوغ الصوتي الذي جعل الناطق يؤثر صوتاً على صوت.

الهمزة والعين

تبدل الهمزة المبدوء بها عيناً عند قبائل تميم وقيس وأسد. وفي رواية الفراء: أن تلك الهمزة لا بُد أن تكون مفتوحة[1].

وقد سميت هذه الظاهرة الصوتية (العَنعَنَة) واستشهد لها بأمثلة من النثر والشعر منها قول ذي الرمة:

أعَن ترسمت من فرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

يريد: أأن فابدل الهمزة عيناً، ومنه قول ابن هرمة:

أعَن تفنت على ساق مطوقة ورقاء تدعو هديلا فوق أعوادا

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر:

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل لآخرة لا بُد عَنْ ستصيرها

ومن النثر قولهم: ظننت عَنَّ عبد الله قائم، وأشهد عنَّك لرسول الله، وعَسلم في أسلم، وعذَن في إذن، واعتنف الأمر بمعنى ائتنفه[2]. وفي لهاجت العراقيين م يشبه هذه الخامة الصوتية فإنَّهم يقولون: عنَّ فلان في أَنَّ ــ أي من المــرض ــ وعنين فلان، أي أنينه، وفلان عَنَفة في أنفة. فهذه هي الروايات التي تؤيــد هــذه الظاهرة واشتراط القدماء في أن تكون الهمزة المبدلة عيناً مبدوء بهــا ومفتوحــة ليس له ما يسوغه من الناحية الصوتية[3]. فقد أُبدلت وهي مضمومة. ومنه قــول بعض بني تميم (عُنْفوان) المبدلة من (أُنْفوان)[4] وأُبلدت وهــي متوســطة فــإنَّهم قالوا: السَاعَف والسَعَف وتَداءمة الأمر وتداعمَه. وقالوا في (الأسَن): العَســن ــ قديم الشحم ــ وأنجَأفَت النخلة وانجَعَضت[5].

ومما وقعت فيه الهمزة آخراً قولهم: صَبَعَ في صبأ،والخَبْع في الخَبْء[6]. فالأقرب إلى الاحتمال هو أنَّ هذه القبائل وكلها من البدو كانت تميلُ إلى الجهــر بالأصوات لتجعلها واضحة في السمع، أياً كان موضعها من الكلمة وبأيَّة حركــة تحرَّكت.

والمسوغ الصوتي لإبدال الهمزة عيناً عند تميم وقيس وأسد: هو أنَّه عنــد المبالغة في تحقيق الهمزة تستبدل بصوت من أصوات الحلق قريــب منهــا فــي الصفة والمخرج، وأقرب تلك الأصوات إليها في المخرج صــوت العــين وهــو حرف مجهور[7]. وقد أشار الأزهري إلى المبالغة التي تحصل في الهمزة فتقلبها عيناً حيث قال: ومن تحقيق الهمز قولك: يا زيدُ من أنتَ: كقولك: من عَنْتَ[8].

إبدال الباء

1. الباء والفاء.

رويَ أنَّ أعرابياً من بني حنظلة كان يقول (المَصطَفة) فــي المَصــطَبَة[9] فيبدل الباء فاء. ولكن حنظلة فرع من قبيلة تميم البدوية فكيــف نطقــت بالفــاء المهموسة ؟ فيجاب عن ذلك بأمرين:

الأول: إنَّ اللغة إحدى الظواهر الاجتماعية التي تخضع لظروف عديـدة، وليس من شأن القوانين اللغوية الصرامة، وعلى هذا فلا ضـير أن نلمـح فـي اللهجات خروجاً على ما عرف من هذه القوانين.

الثاني: إنَّ هذه الفاء التي جاءت في لهجة حنظلة ليست فاء مهموسة كالتي نعرفها في العربية، وإنَّما هي مجهورة تشبه الحرف (V) في اللغات الأوربيـة، وممّا يؤيد هذا الظن نص اللسان المعزو إلى الأزهري، من أنَّه سمع حنظلياً ينطق (المَصطفَّة) بتشديد الفاء، وعلى هذا فتكون حنظلة البدوية قـد نطقـت بصـوت مجهور، ليس بينه وبين الباء إلا أن ينحبس الهـواء قلـيلاً فيصـبح انفجاريـاً كالباء[10].

2. الباء والزاي:

رُويَ أنَّ يقال: غلام بُلبُل وزُلزُل[11]، وهو الخفيف الطريف. وبلبل أعـم في اللغة والزاي لهجة جُهينة، وهي فروع قبيلة قضاعة اليمنية ويؤيد نسبة الزاي إلى جُهينة قول واحد منهم في رجز له:

يتبعَهن زُلزُل موافقٌ

والباء والزاي صوتان مجهوران الأول شديد والثاني رخو، وهما مختلفان في المخرج فالمسوِّغ للإبدال بينهما صفة الجهر. أمَّا المسوغ الصوتي لإبدال الباء زاياً عند جُهينة، فهو أنَّه على رغم أن تلك القبيلة من قبائل اليمن المتبدية، فإنَّهـا في هذه الظاهرة نطقت بالصوت الرخو الذي تؤثره القبائل الحضرية مشبهة في ذلك المتحضرين من قبائل اليمن، ويظهر لي أنَّ كل اللهجات اليمنية تبدل (بلبـل) بزلزل.

3. الباء والكاف

يقال: شابهه وشاكَهه[12]. أُبدلت الباء كافا. والنطق بالكاف لهجـة لقبيلـة هُذيل، ويعضد هذا شعر لزهير بن أبي سُلمى فهو يقول:

عَلَـون بأنمـاط عتـاق وكِلَّـة وراد حواشـيها مشـاكِهة الـدم

والباء والكاف صوتنا شديدان، الأول مجهور والثاني مهموس، ومخرجهما مختلف فالذي أباح الإبدال بينهما هو صفة الشدَّة.

أمّا ما يسوغ لهُذيل أو لزهير الهذلي إيثار النطق بالكاف من الناحية الصوتية، فإنَّ هُذيل قبيلة تأرجحت بين الحجازيين وبني تميم، فمرَّة تقلِّد هؤلاء وفي أُخرى تقلِّد أولئك[13]. وقد نطقت بالصوت المهموس مثل الحضر في هذه الصفة الصوتية.

4. الباء والميم

1. تبدل مازن ربيعة الباء ميماً، لأنَّها قبيلة حضرية تؤثر الأصوات غير الشديدة. وبما أنَّ الميم صوت متوسط بين الشدَّة والرخاوة، قلت مالت إلى النطق به هذه القبيلة. ومن الأمثلة التي رويت معزوة لمازن ربيعة قولهم: مَكْر في بكر[14].

2. الكَحْب: الباء هو المشهور. وأهل اليمن يبدلون الباء ميماً فيقولون: (الكَحْم) واحدته كَحْمَة[15]. وهو الحصرم. والباء صوت شديد مجهور والميم صوت مجهور متوسط بين الشدَّة والرخاوة. وهما صوتان شفويان، فالمسوغ من الناحية الصوتية للإبدال بينهما وحده المخرج وصفة الجهر. وقبائل اليمن منهم الحضر ومنهم البدو، فأرجّح أنَّ الميم في تلك الظاهرة لهجة حضرية آثرت النطق بالصوت المتوسط.

إبدال التاء

التاء والثاء

تُبدل التاء ثاء في ألفاظ معروفة. وممّا جاء منسوباً إلى لهجة، ما رُويَ عن السموأل الخيبري حيث قال:

ينفع الطيبُ القليل من الرز ق ولا ينفع الكثير الخَبِيت

حيث قال (الخبيت) بالتاء يريد (الخبيث).

وقد اختلفت آراء العلماء في هذه الظاهرة، فالأصمعي يقول: إنَّ خيبر تنطق (الخَبيت وتريد الخبيث)[16]. وقول الأصمعي غير مقبول، لأنَّ خيبر أقرب

إلى الحضر من غيرها فهي تجاور أهل مكة وغيرهم من الحجازيين، فالثاء أقرب إليها من التاء، لأنَّ الأول رخو مهموس والثاني شديد مهموس.

ويرى الخليل أنَّ لو كان أهل خيبر يبدلون الثاء تاء لقال هذا الشاعر الخيبري (الكتير) بدلاً من (الكثير)[17] ويُرد على قول الخليل: بأنَّ خيبر لا يقلبون كل ثاء تاء، وإنَّما رُوِيَ ذلك عنهم في هذا اللفظ فقط، أمّا الأزهري/ فيرى أن (الخبيث) تصحيف لكلمة (خَتِيت) وهي الشيء الكثير.

والمرجَّح في هذه الظاهرة: هو أنَّ السموأل قد قلَّد في هذه الظاهرة القبائل التي تؤثر الأصوات الشديدة كتميم وغيرها. ولهذا قال (الخبيت).

التاء والدال

1. بنو تميم يبدلون التاء دالاً في (وَتِد) فيقولون (وَدّ)[18]. والتاء والدال من مخرج واحد، إلاّ أنَّ الأول شديد مهموس والثاني شديد مجهور، فوحدة المخرج وصفة الشدَّة سوغا الإبدال بين الحرفين. وقد تمَّ الإدغام بين الصوتين، بانَّ تأثر الأول بالثاني تأثراً رجعياً فأصبح مجهوراً، فاجتمع صوتان متماثلان في الجهر وهما الدال، فأدغم أحدهما في الآخر فصارت الصيغة (ودّ)[19]. والمسوغ الصوتي لإدغام التاء في الدال بعد إبدالها دالاً، هو السهولة في النطق واختصار الجهد العضلي.

2. في رواية للفراء: إنَّ بني أسد يبدلون الدال في (الدَفتر) تاء فيقولون (التَفتَر). وقد استشهد الفراء لهذا الإبدال بشعر لرجل من بني أسد حيث يقول:

هذا به التَفتَر خير تفتر في كفِّ قِرم ماجد مصوَّر[20]

والمسوغ للإبدال بين الصوتين هو: إتحادهما في المخرج وصفة الشدَّة، وإلاّ فإنَّ التاء مهموس والدال مجهور.

والمسوغ الصوتي الذي دعا قبيلة أسد إلى مخالفة طبيعتها البدوية فقلبت صوتاً مجهوراً إلى مهموس، هو مراعاة الانسجام بين الأصوات لأجل السهولة في النطق، لأنَّ الانتقال من صوت مجهور إلى صوت مهموس وبالعكس فيه مشقَّة لا تناسب البدوي الذي لا يتأنَّى في النطق.

التاء والطاء

تبدل قبيلة تميم التاء طاء فتقول في (أفَلَتَني): (أفلطَني) وفي (فحصت برجلك): (فحَصْطَ برجلك) وفي (حِصتَ) (حِصْطَ)[21]. وقد يوْهم من لا يعرف طبيعة القبائل البدوية في النطق بالأصوات، إنَّ الذي ألجأ تميم إلى قلب التاء طاء في (فحصت) و(حصت) هو اشتمال اللفظتين على الصاد، وهو حرف إطباق فجاء بالطاء الحرف المطبق أيضاً ليتجانس الصوتان. وهذا سبب معقول في مثل هاتين اللفظتين لولا وجود بعض الألفاظ مثل (افلتني) التي قلبت تميم تاءها إلى طاء من غير أنْ تشمل تلك اللفظة على حرف إطباق يسبق التاء.

فالسبب الرئيس لهذه الظاهرة الصوتية في لهجة تميم، هو أنَّ تلك القبيلة بدوية نجدية موغل في البداوة والقبائل البدوية تؤْثر الأصوات المفخمَّة سواء كانت مطبقة أم غير مطبقة، لأنَّها عند النطق بها ترن في الآذان رنيناً قوياً وهذا يناسب طبيعة البدو في الخشونة. ومن الأمثلة الأخرى التي يصحّ غزوها إلى تميم في مثل تلك الظاهرة قولهم (خَبطٌّ) في (خَبطت) فقد أبدلت التاء طاء وأُدغمت الطاء في الطاء. وهذا النوع من الإبدال سماه المحدثون (المماثلة) وسماه القدماء التشاكل والتجانس، وهو من تأثر الأصوات بعضها ببعض. وقد قسَّم المحدثون التأثر إلى نوعين: أحدهما: التأثر الرجعي وهو أن يتأثر الصوت الأول بالثاني. والآخر: هو التأثر التقدمي، وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول. ويحدث النوعان من التأثر غالباً في الكلمات التي تأتي على صيغة (افتعل)وهو ما أشار إليه القدماء، فقد جوَّز هؤلاء تشبيه (فَعَل) بـ (افتعل) في مثل (فحصت وخبطت). لأنَّ تاء الضمير في مثل هاتين اللفظتين إذا جاء بعدها حرف من حروف الإطباق أشبهت بتاء الافتعال، إذ إنَّ تلك التاء لما اتصلت بالفعل الذي قبلها صارت ككلمة فأشبعت تاء: (افتعل) ولذا أشبهوا فاء (فَعل) بـ (تاء) (افتعل) فجاز أن يقال: خَبَطٌّ وفحصطُ[22].

إبدال الثاء

الثاء والسين

المعروف: سافَت رجله في الأرض. وقد رُوِيَ في لهجة (ثاخت)[23] حيث أُبدلت السين ثاء. ويمكن عزو النطق بالثاء إلى قبيلة هُذيل. فقد جاء في شعر لأبي ذؤيب الهلالي ما يؤيد ذلك. قال:

قصر الصبوحَ لها فشرَّج لحمها بالنِيِّ فهي تثوخ فيها الأصبع

والسين والثاء صوتان رخوان مهموسان متقاربان في المخرج وهذا الاشتراك هو الذي سوَّغ الإبدال بينهما.

أمّا المسوغ الصوتي لهُذيل أو بعضها في إبدال صوت مهموس رخو بصوت مثله فهو كما يرى: أنَّ الأصوات التي من مخرج واحد أو متقاربة في المخرج تتعاقب فيما بينها، وتلك صفة صوتية تشيع في اللغات المختلفة، وقد اشتهرت بها اللغات السامية. وهُذيل عند القدماء قبيلة نجدية، لكن أثبتت الدراسة الحديثة للَّهجات القديمة أنَّه من ملاحظة الأصوات التي نطقت بها هُذيل وقلَّدت بها مرَّة الحجازيين ومرَّة بني تميم، إنَّها قبيلة متأرجحة بين هذين القبيلتين، وقد تكون تلك الظاهرة الصوتية من أمراض اللسان أو من أخطاء الأطفال وهو رأي أقرب إلى الظن منه إلى اليقين.

الثاء والفاء

المَغافِير والمَفاثِير: شيء ينضحه الثُمام، أو الرمث والعُشَر كالعسل والواحد مَعثور ومغفور[24].

والثاء لهجة أسد والفاء لهجة غيرهم من العرب. والثاء والفاء صوتان مهموسان رخوان متقاربان في المخرج. فالهمس والرخاوة وقرب المخرج هما اللذان أباحا الإبدال بين الحرفين من الناحية الصوتية. وإذا أردنا أن نبرر نطق أسد بالثاء وهو صوت مهموس، يقف في الطريق اشتهار أسد وغيرها بالميل إلى الأصوات الشديدة والمجهورة فما الذي ألجأها إلى هذه الصفة الصوتية المخالفة لطبيعتها ؟ فيجاب عن ذلك بالآتي:

1. من المعروف في الدراسات الصوتية أنَّه قد ينتقل صوت من مخرجه الأصلي إلى مخرج آخر فيُستبدل بأقرب الأصوات إليه في مخرجه الجديد، فإذا انتقلت

الفاء من مخرجها متجهة إلى مخرج الأصوات اللثوية (الثاء) استبدل بها الفاء التي تشركها في الهمس والرخاوة وقرب المخرج(25).

2. قد يكون ما حصل من إبدال الفاء ثاء عند أسد، صفة سامية اشتهرت بها أصوات اللغات السامية في التعاقب بينها.

إبدال الجيم

جيم والحاء

المعروف: (أحَمَّ الأمرُ) إذا حان وقته. وحك: أجَمَّ الأمر بالجيم. وقد أنكر الأصمعي رواية الجيم، وقال يقال: حُمَّ الأمر، وأحممه الله، أي قدره(26). وإنكار الأصمعي للنطق بالجيم دليل على أنَّ هذه الصفة الصوتية لهجة لقبيلة، وإنَّ الحاء لأكثر العرب.

فأجَمَّ تعزى، لهُذيل ويعضد هذا العزو بيت شعر لزهير قال فيه:

**وكنتُ إذا ما جئت يوماً لحاجة		مضت أوجمَّت حاجة الغد ما تخلو**

وما يسوغ لهُذيل النطق بالجيم بدلاً من الحاء في هذه الظاهرة، هو أنَّ هُذيل قبيلة بدوية من خصائصها الصوتية النطق بالمجهور والشديد على الرغم من تقليدها في بعض الأحيان للحضر في النطق بالأصوات المهموسة والرّخوة. والمسوغ الصوتين للإبدال، هو لما كانت الحاء رخوة والجيم متوسطة بيد الشدَّة والرخاوة، فقد جمع بين الصوتين رخاوة الحاء وبعض رخاوة الجيم.

الجيم والشين

رُويَ أنَّ قبيلة تميم تبدل الجيم شيناً، فإنَّهم كانوا يقولون المثل المشهور (شرٌّ ما أجاءَكَ إلى مُخَّةِ عَرقوب) (شر ما أشاءَكَ)(27) ولهم ألفاظ أُخر أبدلوا فيها الجيم شيناً.

والإبدال بين الجيم والشين شائع، لأنَّ كلا الصوتين من أصوات وسط الحنك فهما من مخرج واحد لكن الجيم صوت شديد مجهور أو متوسط بين الشدَّة والرخاوة والشين رخو مهموس(28).

فالمسوغ للإبدال بينهما هو اتحادهما في المخرج.

وقد يقف في طريق هذه الظاهرة الصوتية كون تميم من القبائل البدوية التي تؤثر الأصوات المجهورة، وهي في تلك الخاصيَّة مالت إلى الصوت المهموس والرخو، وهو الشين الذي يتطلب مجهوداً عضلياً، فيجاب بأنَّ ما سُميَّ بالشين عند القدماء ليس بالشين المعروفة. وهي الشين المهموسة الرخوة، بل شين أُخرى، ولكن لما كانت الكتابة العربية ناقصة ولا يعبر عن الفونيمات الموجودة في اللهجات العربية فقد رسموها بالشين فالمقبول إنَّ هذه الشين أُبدلت من الجيم المجهورة هي شين مجهورة أيضاً، ويمكن أن يمثل لها بالنطق العامي (أشغال) فالشين وإن كانت صفتها العامة الهمس، إلاّ أنَّها هنا مجهورة لتأثرها بالغين فأصبحت مجهورة مثلها. فالشين في لهجة تميم في قولهم: (شر ما أشاءك) بمعنى أجاءك هي شين مجهورة كالتي في أشغال وهي أقرب ما تكون إلى الجيم الشامية المجهورة، وربَّما كانت تشبه الجيم التي قال عنها ابن جني (وأما الشين التي كالجيم فهي الشين التي يقل تفشيها واستطالتها وتتراجع قليلاً متصعدة نحو الجيم).

وربَّما أنَّ السبب في جهر الشين فهو مثل تأثرها بحركة المد بعدها وهي مجهورة ولا شكَّ أنَّ الحرف قد يكون مهموساً ولكن تختلف طبيعته نظراً للبيئة المحيطة به من الأصوات المجهورة. ومن ذلك لفظ: (أجدق) فالدال مجهورة شديدة والجيم مجهور شديد، فأوتر التخالف بينهما فقيل (أشدق) بالشين الرخوة المهموسة. وقد نسمعها أشدق بشين قريبة من الجيم مجهورة مثلها، لأنَّها تأثرَّت بالدال[29].

الجيم والقاف

المعروف: (البَوائِق) وهي الدواهي. وقد جاء في شعر للشماخ بن ضرار (بوائِج) بالجيم وهو قوله:

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائِج في أكماهها لم تفتَّق[30]

والشماخ من قبيلة أسد البدوية فلفظة (بوائِج) هي لهجة لتلك القبيلة. والجيم والقاف صوتان مجهوران شديدان مختلفان مخرجاً. فالمجوز للإبدال بينهما هو الجهر والشدَّة.

أمَّا المسوغ الصوتي لإبدال القاف جيماً عند أسد، فهو أنَّ الجيم من الأصوات المفخَّمة التي يؤثرها البدو، وهي أكثر وضوحاً في السمع من القاف، ولهذا مالت إليها هذه القبيلة.

وإذا أخذنا برأي المحدثين من علماء الأصوات الذين أثبتوا في بحوثهم الصوتية أنَّ القاف كما ينطق بها الآن مهموسة شديدة، فيكون المسوغ الصوتي لنطق (أسد) بالجيم هو إيثارهم للأصوات المجهورة التي تناسب طبيعتهم البدوية.

الجيم والياء

نسب الرواة إلى قبيلة تميم قلب الجيم إلى الياء في ألفاظ منقولة عنهم، فقد رُويَ أنَّهم يقولون في (صِهريج وصَهاريج) (صِهريّ وصَهارِي) بتشديد الياء ويقولون في (شَجَرة) (شيرة).

ونقلوا عن أُم الهيثم أنَّها كانت تقول شيَرة وتنشد في ذلك:

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى فابعدكن الله من شَيَرات[31]

وأُم الهيثم من بني منقر من تميم.

وممّا يُروى عن تميم قولهم (يِيْزِيه) في (يَجزيه).

والمسوِّغ الصوتي لإبدال الجيم ياء عند تميم هو أنَّ الياء من أصوات اللين التي تكون أكثر وضوحاً في السمع من الجيم لأنَّ الجيم من الأصوات الساكنة التي لا تسمع من بعيد.

أمّا الذي يسوغ الإبدال صوتياً بين الحرفين: فهو إنَّ كلاً منهما مجهور ومخرجهما واحد.

ويُشبه تميم في هذه الخاصية الصوتية بعض العراقيين. فهم يبدلون الجيم ياء في ألفاظ معروفة فيقولون في شجرة (شيَرة) وفي حجارة (حِيَارة) وفي جار (يَار) وغيرها.

إبدال الحال

الحاء والسين

المشهور: ماسَت المراة، تبخترت في مشيتها. وقد حُكيَ: ماحَت بالحـــاء. وقد جاء في شعر للعجَّاج (ماحت) إذ يقول:

ميَّاحةً تميس ميساً رَهوجا[32]

والعجَّاج تميمي. فالنطق بالحاء لهجة تميم والمسوغ الصوتي لميـــل تمـــيم إلى النطق بالحاء وهو حرف رخو في حين أنَّ المشهور عن هذه القبيلة البدويـــة ومن لف لفَّها إيثار الأصوات الشديدة المجهورة، هو أنَّ الحاء تشبه العـــين فـــي شدَّتها وجهرها لذا قال ابن جني (لولا بَحَّة في الحاء لكانت عيناً)[33].

أمّا إذا سوَّغ الإبدال صوتياً: فهو صفة الرخاوة والهمس في الحرفين.

الحاء والعين

1. تبدل الحاء عيناً في ألفاظ رُويت منسوبة إلى هُذيل ومن ذلك قـــولهم: (اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض)[34].

أي: (اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض) وقد قرأ ابن مسعود الهلالي: (عَتَّى حين) في ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾[35].

والحاء والهاء صوتان حلقيان متحدا المخرج، ولا فرق بينهما إلاّ فـــي أنَّ الأول مهموس والثاني مجهور. فاتحاد المخرج هو المسوِّغ الصوتي لإبدال الحاء عيناً.

وقد أطلق القدماء على ظاهرة قلب الحاء عيناً عند هُذيل (الفَحفَحة) ولـــم يوافق الدارسون المحدثون على هذه التسمية فقد أنكرها أغلبهم: وقـــالوا: لـــو أنَّ العين هي التي قلبت حاء لصحَّ أن تسمى هذه الخاصية (فَحفَحة)[36].

أمّا إبدال الحاء عيناً في قراءة ابن مسعود (عَتَّى حين).

فقد بيَّن أحد الدارسين المحدثين[37] أنَّ (عتَّى) تعني حتـــى فـــي اللغـــات السامية، ففي العربية الجنوبية (عَدَّ) و(عِدِّي) وفي العبرية (عَد) و(عدي) فـــالعين تقابل الحاء والتاء تقابل الدال. وعلى هذا فإنَّ (عتى) الهُذلية ظاهرة متوسطة بين

حتى العربية و(عدي) السامية. فالمسوغ الصوتي لإبدال الحاء عيناً عند هُذيل يُفسر بالآتي:

1. رُبَّما قلَّدت هُذيل في هذه الظاهرة قبائل شرقي الجزيرة العربية (تميم ومن تابعهما) في النطق بصوت مجهور بدلاً من الصوت المهموس.

2. إنَّ الحاء التي نطقت بها هُذيل هي الحاء التي فيها حشرجة تشبه حشرجة العين[38]. وقد سماها ابن جني (بَحَّة) كما سبق.

3. إنَّ (عتى) الهُذلية تقابل (عَدَّا)، (عَدَّي) في اللغات السامية.

2. نسب إلى لهجة قبيلة قيس البدوية إبدال الحاء عيناً في ألفاظ منها (الحِنْفِص) فقد أبدلت بالعين أي (عِنْفِص) وقد رُوِيَ في شعر لأعشى قيس ما يؤيد ذلك حيث قال:

ليست بسوداء ولا عِنْفِص   سريعة الوثب إلى الداعِرِ[39]

والحاء والعين صوتان حلقيان فهما متحدا المخرج، أمّا المسوغ الصوتي لإبدال الحاء عيناً عند قيس فإنَّ تلك القبيلة بدوية نجدية تؤثر الأصوات المجهورة التي تكون قوية عند النطق بها.

الحاء والهاء

وردت في كتب الإبدال وغيرها ألفاظ أبدلت فيها الحاء هاء فمن ذلك (تَمَدَّه) في (تَمَدَّح) وقد وجدتُ في شعر لرجل سعدي ما يؤيد أنَّ هذه الظاهرة الصوتية لقبيلة سعد بن بكر الحضرية. فقد قال الشاعر:

حسبكِ بعض القول لا تَمَدَّهِي غركِ برزاعُ الشباب المزدهي[40]

أراد: تمدحي. وممّا يؤيد أن تلك الخاصية الصوتية حضرية، ما جاء عن النبي ﷺ في قوله لرجل (وَيهَك أقبِل جنادِ)[41]. أي ويحك. فقد نطق مثل نطق سعد الحجازية. والحجازيون هم أهل لغته. والحاء والهاء صوتان رخوان مهموسان، مخرجهما متحد لأنَّهما حلقيان. وهذا الاشتراك في الصفة والمخرج هو الذي سوَّغ صوتياً الإبدال بين الحرفين أمّا المسوغ الصوتي لنطق سعد بالهاء على الرغم من مشابهتها للحاء في الهمس والرخاوة فهو كما أرى أنَّ الهاء أكثر رخاوة من الحاء لأنَّ الحشرجة التي في الحاء تجعلها أقرب إلى الأصوات الشديدة وبخاصة العين، والحضر كما هو معروف أميل إلى ما زادت رخاوته من الأصوات.

ومن الألفاظ التي أبدلت فيها الحاء هاء عند قبيلة سعد قولهم: (الأجله) في (الأجنَح) أي الأصلع[42].

الحاء والياء

رُوِيَ إنَّ الحاء تبدل ياء في ألفاظ معلومة فالمعروف: شَرَّحت اللحم بالحاء. وقد جاء (شَرَّيت) بالياء وهذه اللهجة لقبيلة نمير. وقد جاء في شعر للراعي النميري ما يعضده فقد قال:

فأصبح يستاق الفلاةَ ونابه مَشَرَّي بأطراق البيوت قديدُها[43]

والحاء والياء صوتان رخوان، غير أنَّ الأول مهموس والثاني مجهور. فصفة الرخاوة بينهما تسوغ الإبدال من الناحية الصوتية، والمسوغ الصوتي لميل نمير أو بعضها إلى النطق بالياء، بدلاً من الحاء، هو أن الياء من أصوات اللين، وتلك الأصوات كما أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة، أكثر وضوحاً في السمع

من الأصوات الساكنة لأنَّها مجهورة ولهذا آثرتها القبائل البدوية التي تسكن في صحاري شاسعة يحجز بينها جبال ووديان فلا يسمع فيها إلاّ الصوت العالي.

الخاء والهاء

المشهور هو (المُطْرَخِم) وهو المشرف الطويل. وقد جاء في لهجة المطرهم بـ (الهاء). والنطق بالهاء ينسب إلى باهلة. فقد جاء في بيت شعر لابن أحمر الباهلي ما يؤيد ذلك. قال:

أرجي شباباً مُطرَهِمَّا وصحبة وكيف رجاء المرء ما ليس لاقيا(44)

والمسوِّغ الصوتي لباهلة في إبدال الخاء هاء، هو إيثارها لصوت كثير الرخاوة إذا قورنت بصوت الخاء الذي يكاد يقرب من الشدَّة لما فيه من الحشرجة، لأنَّ باهلة حضرية. والمسوغ بين الصوتين: إتحاد مخرجهما مضافاً إليه صفة الهمس والرخاوة.

إبدال الدال

الدال والباء

نقل عن قريش وسعد أنَّهما يبدلان الدال باء في ألفاظ. فقد رُوِيَ أنَّهما يقولان:

(في بني عبد الشمس): (بني عَبّ الشمس)[45].

وقد حصلَ هذا الإبدال لأجل المماثلة بين الصوتين. فالدال قلبت باء، فاجتمع صوتان متماثلان فأدغم أحدهما في الآخر. والقصد من ذلك هو السهولة في النطق. ويسمى العلماء هذه الظاهرة الوقف بالتضعيف[46]، وقد اشتهرت بها قبيلة سعد بن بكر المذكورة، أمّا قريش فلم يعرف عنها مثل هذا المظهر اللغوي ويظهر أنَّها قلَّدت سعد، فيها إذا ما صحَّت تلك الرواية.

الدال والذال

تبدَّل ربيعة الدال ذالاً في بعض الألفاظ فتقول في (عَذُوفة وعَذُوف) (عذوفة وعَذوف)[47]. والدال والذال صوتان مجهوران متقاربان في المخرج، لكن الأول شديد والثاني رخو. فالمسوغ للإبدال هو صفة الجهر وقرب المخرج.

والمسوغ الصوتي للنطق بالذال في لهجة ربيعة، هو أنَّ هذه القبيلة من القبائل المشابهة للحجازيين في نطقهم، ولهذا أثرت الصوت الرخو المناسب لرقَّة الحضر.

الدال والسين

المشهور: جَمَد الماءُ. وقد جاء في لهجة: جَمَس الماء[48].

فاللهجة التي ينسب لها السين هي لهجة عدي بن كعب. ويؤيد ذلك قول ذي الرمة العدوي:

ونقري سَديف الشحم والماء جامس

والدال صوت شديد مجهور والسين صوت رخو مهموس. وهما متقاربان في المخرج. فقرب المخرج هو الذي جوز الإبدال بينهما.

والمسوغ الصوتي لقلب الدال سيناً عند عدي أو عند ذي الرمة، هو نطق هؤلاء بالصوت الرخو المهموس مثل الحضر، أي أنَّ الدال انتقل إلى مخرج الأصوات الصفيرية.

الدال والطاء

يُقال: بَدَع الرجلُ وبَطَعَ: إذا لَطَخَ استه بعِذِرَته. ويلاحظ من استقراء ما جاء بالطاء والذال من هذه الظاهرة، إنَّ الدال أفشى، وتعزى الطاء إلى تميم. فقد جاء ما يعضد ذلك في شعر لرؤبة بن العجاج وهو قوله:

لولا دوبقاء أسته لم يَبْطَفا[49]

ورؤبة تميمي.

والدال والطاء صوتان مجهوران شديدان مخرجهما واحد. والفرق بينهما هو أنَّ الطاء أحد أصوات الأطباق، ووضع اللسان معه يختلف عن وضعه مع الدال، فاللسان مع الطاء يتخذ شكلاً مقعَّراً منطبقاً على الحنك الأعلى ويرجع إلى

الوراء قليلاً[50]. فالمسوِّغ الصوتي بين الحرفين للإبدال هو تلك الصفات المشتركة، أمّا النطق بالطاء بدلاً من الدال في لهجة تميم أو بعضها، فالمسوغ الصوتي له، هو الفخامة الموجودة في هذا الصوت، والأصوات المفخمة تؤثرها القبائل البدوية.

الدال والفاء

المشهور في اللغة: التَطْواف. وقد جاء في رواية (التَطْواد)[51] بالدال وتنسب الدال إلى قبيلة نصر وهي فرع من قبيلة أسد البدوية. وقد جاء في بيت شعر لأبي غريب النصري ما يقصد هذه الظاهرة فقد قال:

أطَوِّد ما أُطوِّد ثم آوي إلى بيتٍ قعيدته لُكاعِ

والمشهور: أطَوِّف. والدال صوت شديد مجهور، والفاء رخو مهموس ومخرج الصوتين متقارب، فالمسوغ للإبدال هو قرب المخرجين.

أمّا المسوغ الصوتي الذي جعل قبيلة نصر تؤثر الدال فهو أن تلك القبيلة بدوية ولهذا مالت إلى النطق بالشديد المجهور المناسب لطبائع البدو.

الدال والميم

رُوِيَ في كتب الإبدال وغيرها ما يؤيد الإبدال بين الدال والميم: فقد جاء: (الشَكْد) و(الشَكْم)[52] وهو الجزاء على فعل منه.

والدال خاص بلهجة أسد، إذ لم يرد شاهد من الشعر يؤيد عزو تلك الظاهرة إلى غير هذه القبيلة في حين جاء في شعر أبي المهوش الأسدي ما يعضدها فقد قال:

ومعصَّب قطع الشتاء وقوته أكلُ العجا وتكسب الأشكادِ

وقد مالت أسد إلى الدال لأنَّه شديد[53]، والميم مثله في الجهر لكن تختلف في كونها متوسطة بين الشدَّة والرخاوة، وهذا هو المسوِّغ الصوتي لإيثار الدال على الميم عند تلك القبيلة، وصفة الجهر بين الصوتين هي التي سوغت الإبدال بينهما.

إبدال الدال

الذال والدال

1. الذألان: بالذال ضرب من السير. وقد جاء بالدال فيقال (الـدَألان)[54] والدال لهجة أسد النجدية المتبدية، إذ يظهر من تتبع الشواهد أنَّها أبدلت الذال دالاً فصارت تلك الظاهرة خاصة بها وقد جاء في شعر أبي الميدان الفقعسي ما يؤيد ذلك إذ قال:

يا ناقتا مالك تَدألينا

وفقعس من أسد. فاللهجة فقعسية أسدية. والميل إلى النطق بالدال لأنَّه شديد مجهور والذال رخو مجهور والشدَّة والجهر من خصائص البدو وهذا هو المسوغ الصوتي.

أمّا المسوغ للإبدال بين الصوتين. فهو الجهر وقرب المخرجين.

2. المشهور: ذحجه: عركه كركَ الأديم. ودَحجَه: يمانية. بالدال[55].

الدال والضاد

الذَيَّاط: الذي إذا مشى حرك كتفيه. وحكى بعض الرواة (الضَّياط)[56] بالضاد. والنطق بالضاد يعزى إلى لهجة أسد يؤيد ذلك قول نقادة الأسدي في رجز له:

حتى ترى البَجباجة الضَيَّاطا

والدال والضاد صوتان مجهوران إلاّ أنَّ الأول رخو والثاني شديد وهما متقاربان في المخرج[57]. وقد سوَّغ الإبدال بينهما الجهر وتقارب المخرجين. والمسوغ الصوتي لإيثار أسد للضاد، هو أنَّ هذه القبيلة من القبائل الموغلة في البداوة، فهي تميل إلى الأصوات الشديدة المجهورة.

إبدال الراء

الراء والزاي

1. يقال: أرغلَت القطاةُ فرخها. وقد رُويَ: أزغلته بالزاي. وهي لهجة قبيلة باهلة. وقد جاء في شعر لابن أحمر الباهلي ما يعضدها فقد قال:

فأزغلت في حلقة زغلة ... لم تخطئ الجيد ولم تشفَتر[58]

والراء متوسط مجهور والزاي رخو مجهور، وهما متقاربان في المخــرج وإبدال باهلة الراء بالزاي وإيثارها النطق به لأنَّها قريبة مــن الحضــر تفضــل الأصوات الرخوة.

الراء واللام

1. الرَثِيد واللَثِيد: المنضود. واللام أكثر في اللغة كما يتضح من الأمثلة الموضوعة له. والراء لهجة مازن، وهي مبدلة من اللام ويؤيد أنَّ الراء لتلك القبيلة ما جاء في شعر ثعلبة بن صعير المازني إذ يقول:

فتذكرا ثقلا رثيدا بعدما　　ألقت ذُكاء يميدها في كافر[59]

واللام والراء صوتان مجهوران متوسطان في الشدَّة والرخاوة متقاربان مخرجا[60] وقد سوَّغ هذا الاشتراك الصوتي الإبدالُ بينهما. ومازن التي نطقت بالراء هي مازن قيس كما أرى، لأنَّ تلك بدوية ولهذا أثَّرت الراء المفخمة على اللام المرققة. والتفخيم خاصة صوتية بدوية.

2. ومن الألفاظ التي أبدلت فيها الراء لاما (الطِرمِاء والطِلماء) وهي الظلمة. ولم ترد اللام إلاّ في بيت للمرار الفقعسي الأسدي وهو قوله:

لقد تعشقتُ الفلاة الظِما　　يسير فيها القوم خمساً ألما[61]

فاللام والراء صوتان مجهوران متوسطان بين الشدَّة والرخاوة وهما متقاربان في المخرج ولهذا جاز الإبدال بينهما.

أمّا المؤثر الصوتي الذي ألجأ أسد إلى قلب الراء لاما، فهو أن اللام أكثر وضوحاً في السمع من الأصوات الساكنة كما أثبتت الدراسات الحديثة، ولذا أطلق عليها (أشباه أصوات اللين).

إبدال الزاي

الزاي والتاء

تبدل الزاي تاء في لهجة عقيل البدوية. وقد حكى الرواة شاهداً من الشعر لهذا الإبدال، وهو قول الجراع العقيلي:

صداع وتوصيم العظام وفترة　　وغَثْى مع الأشراف في الجو لاتِب[62]

قال: (لاتب) بدلاً من (لازب).

وعزى إبدال الزاي تاء إلى لهجة قيس، فقد رُويَ في اللسان أنَّ قبيلة قيس تقول طيء (لاتب) بدلاً من طين (لازب)[63].

وعقيل وقيس من القبائل المتبدِّية، وبما أنَّ التاء صوت شديد والزاي صوت رخو فلذا مالت هاتان القبيلتان إلى الصوت الشديد الموافق لطبائعهم.

أمّا المسوغ للإبدال بذين الحرفين من الناحية الصوتية: فهو كون الصوتان مجهورين مضافا إلى ذلك تقارب مخرجيهما.

الزاي والدال

عزي إلى قبيلة طيء إبدال الزاي دالاً في ألفاظ معلومة فهم يقولون: هو (بإدائه) أي بإزائه(64).

والدال والزاي صوتان مجهوران متقاربان في المخرج لكن الأول شديد والثاني رخو وتلك الصفات المشتركة بين الصوتين هي التي تم بها الإبدال بينهما. أمّا المسوغ الصوتي الذي جعل طيء تبدل الزاي دالاً، فهو إنَّ هذه القبيلة من القبائل النجدية المتوغلة في البداوة وهي معروفة بإيثار الأصوات الشديدة ولهذا مالت إلى النطق بالدال.

الزاي والسين

السَعَل: النشاط. وجاء في رواية (الزعل)(65).

والزاي يمكن عزوها إلى قبيلة هُذيل، فقد ورد في شعر لأبي ذؤيب الهُذلي ما يؤيد ذلك. فقال:

أكل الجميم وطاوعته سمحج　　　مثل القناة وأزعلته الأجرع

يريد أسعلته. فأبدل السين زاياً.

وعلى الرغم من أنَّ تلك القبيلة معدودة في قبائل غربي الجزيرة ــ الحجازيين ومن لف لفَّهم ــ فإنّها تأرجحت بين تلك القبائل وقبائل شرقي الجزيرة ــ تميم ومن شايعها ــ وقد وافقت في هذه الظاهرة القبائل البدوية نطقت بالصوت المجهور وهو الزاي وقد سوَّغ الإبدال بين الصوتين صفة الرخاوة وتقارب المخرجين.

الزاي والصاد

المعروف: إمرأة ناشِز. وجاءت في رواية: ناشِص[66] أبدلت الزاي صاداً وهي لهجة وبالتحقيق وجد أنَّ الصاد لهجة قيس. وقد ورد في بيت لاغش قيس ما يعضده هذه الظاهرة فقد قال:

تقمرها شيخ عشاء فأصبحت قضاعية تأتي الكواهن ناشِصا

والمسوغ الصوتي لإيثار قيس الصاد على الزاي كون الصاد حرف إطباق مفخم، وفخامة الأصوات لها أثر في وضوح الكلام في السمع لذا مالت إليها القبائل العريقة في التبدي. أمّا المسوِّغ الذي أباح الإبدال بين الصوتين الزاي وصوت الصاد فهو الرخاوة واتحاد المخرج.

إبدال السين

1. تبدل السين تاء في ألفاظ محكية، وقد عُزِيَ هذا الإبدال بين الصوتين إلى لهجات اليمن، فقد عزاه الأزهري إلى حمير واستشهد له بقولهم: (لَبَات) بمعنى (لا بأس)[67]. واستشهد له ابن منظور بقول شاعرهم:

تنادوا عند غدوهم لَبَات وقد بردت معاذر ذي رعين[68]

وعُزيت تلك الظاهرة أيضاً إلى لهجة قضاعة اليمنية واستشهد لها بقول الراجز:

يا قاتل الله بني السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات[69]

غير أكفاء ولا أكيات

يريد: الناس وأكياس. وقد قُرئ قوله تعالى: ﴿برَبِّ النَّاس﴾ (برب النات) وقد أطلق العلماء، على تلك الظاهرة الصوتية اسم (الوَتْم) ويرى بعض الدارسين المحدثين[70] إنَّ نسبة إبدال السين تاء إلى قضاعة ليس على إطلاقه، لأنَّ تلك القبيلة تضم قبائل حضرية وأُخرى بدوية، وإبدال الصوت الرخو وهو السين بصوت شديد وهو التاء، من طبائع البدو وأقرب قبيلة إلى هذا المظهر الصوتي، هما قبيلتا جرم وجُهينة البدويتان.

وممّا يؤيد وقوع هذا الإبدال مجيء ألفاظ نقلها أصحاب كتب الإبدال وغيرهم منها (سُوسه) و(توسه) أي طبيعته. و(خسيس) و(ختيت) و(أخس الله حظه) و(أخته).

والمسوغ الصوتي لإبدال السين تاء، هو أنَّ كلا الصوتين مهموسان كما أنَّهما يكادان أن يكونا متماثلين في المخرج.

2. ومن إبدال السين تاء: ما رُويَ من إبدال إحدى السينين في (طَسَس) إلى تاء فتكون (طست)[71]. وهذا الإبدال شائع في لهجة طيء. ويبرر هذا عند تلك القبيلة تبريراً صوتياً هو أنَّ طيء قبيلة موغلة في البدو، وقبائل البدو تميل إلى النطق بالأصوات الشديدة، ولما كان السين صوتاً رخواً والتاء صوتاً شديداً أبدلت السين الثانية في (طسس) بالتاء في لهجة طيء لتناسب طبيعتها.

ويرى أحد الدارسين المحدثين[72] في هذه الظاهرة: أنَّه لا يوجد تغيير صوتي في (طست) لأنَّ تلك اللفظة مأخوذة من اللفظة الفارسية (دَسْت) ونطقت بها طيء على الصورة الأولى. وهذا يدل على تأثر تلك القبيلة بغير العرب.

السين والزاي

تبدل السين زاياً بشرط أن يجيء بعدها القاف. وقد عزى هذا الإبدال بين الصوتين إلى لهجة كلب. ومن الأمثلة المروية في لهجة هذه القبيلة قولهم (زَقْر) في (سَقْر)، (زَقَر) في (سَقَر)[73] والمسوغ الصوتي لإبدال السين زاياً في لهجة كلب هو: أنَّ القاف صوت شديد مجهور في حين أنَّ السين صوت رخو مهموس، فأبدلوه بالزاي ليناسب القاف في الجهر، فيكون النطق بصوتين متماثلين في الجهر أسهل من النطق بصوتين مختلفين. وهذا هو الذي يسميه القدماء المشاكلة.

ويسمونه التقريب أيضاً وسماه المحدثون المماثلة. وفي هذه الظاهرة تأثر الصوت الأول بالثاني تأثراً رجعياً.

السين والشين

تبدل قبيلة سعد بن بكر السين شيناً في ألفاظ مروية عنها فمن ذلك قولهم: الشُدفة في السُدْفَة[74].

وقد جاء في شعر الزفيان السعدي ما يعضِّد هذه الظاهرة عند قبيلته فهو يقول:

وحـــرج دوســـرة قـــد أشـــرفت كلفتها الدلجـــة حتـــى أشـــدَفَت

يريد: أسدَفت.

وقد نقل أصحاب كتب الإبدال وغيرهم ألفاظاً تبادل فيها السين مع الســين منها: شدفة في سدفة، جَرْش في جَرْس، وفَقَش في فَقَس، وحَمِـش الشـر فـي حَمِس، وتَنشَّم في تَنسَّم.

ولابن جني رأي في الإبدال بين (نتسم) و(تنشم) الواردتين عند أصحاب الإبدال. فهو يرى أن ليس واحداً من الحرفين مبدلاً من الآخر. وإنَّما هما أصلان ولكل منهما وجه، لأنَّ تنسمت من النسيم وأمّا تنشَّمت فهي من نَشَّمت في الأمـر أي ابتدأته ولم أوغل فيه(75). وتعليل ابن جني هذا لا يقوى على إبطـال إبـدال السين شيناً في هاتين اللفظتين، لأنَّ الصوتين فيهما ما يبرر إبدالهما من الناحيـة الصوتية فهما مهموسان رخوان ومتقاربان في المخرج وقـد أثبـت المحـدثون تعاقبهما في الساميات.

السين والصاد

تبدل السين صاداً إذا وقع بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء وليس هـذا الإبدال في جميع العرب وإنَّما هو في لهجة تميم أو بنـي العنبـر مـن تمـيم. والمسوغ الصوتي لإبدال السين صاد إذا وقعت قبل هذان الحروف. هو السـين حرف مستقل وتلك الحروف مستعلية فكان من الصعب النطق بالسين معها لأنَّها انتقال من الاستغال إلى الاستعلاء وذلك مما يثقل(76). كمـا أنَّ السـين والصـاد صوتان رخوان مهموسان مخرجهما واحد فساغ الإبدال بينهما.

وقد ضرب في اللسان مثلاً على إبدال السين صاداً حين يكتنفهـا بعـض الحروف فقال: وصُقوب الإبل لغة في سقوبها، حكاها ابن الأعرابي قـال: وأرى ذلك لمكان القاف، وضعوا لمكان السين صاداً لأنَّها أفشى من السين وهي موافقة للقاف في الإطباق وهذا تعليل سيبويه(77).

والإبدال الذي حصل بين السين والصاد ما سُميَّ بالمماثلة، ويجاء به للسهولة في النطق. وقد مثلوا لتلك الظاهرة بأمثلة منها قراءة (يصاقون) في {يساقون} و(مس صقر) في {سقر} و(صخَّرَ) في {سخَّرَ} و(صراط) في {سراط}، ويقولون صقت في سقت، ويقول بنو العنبر، الصاق في الساق[78] ومثَّل لها سيبويه بـ (صلخ) في (سلخ) و(صالِغ) في (سالغ) للشاة ـ وصطع في (سطع)، ونسب ذلك إلى لهجة بني العنبر. ومن إبدال السين صاداً لهجتنا الحديثة بالعراق: صلخ في سلخ وصطع في سطع وصخَّم في سخم وصطْر في سطر، وصَطْل في سطل وغيرها.

ومن الشواهد الشعرية التي تؤيد هذه الخاصية الصوتية قول ليلى الأخيلية:

وكنتُ صنيًّا بين صَدَّين مجهلا[79]

قالت: صُدَّين وتعني سدين. وُد هي الواردة في القرآن في قوله تعالى: ﴿بَينَ السَّدَّينِ﴾ وليلى الأخيلية من تميم.

ومن الشواهد الأخرى التي أوردتها كتب اللغة لتلك الظاهرة صمخني في (سمخني)[80].

والمسوغ الصوتي لإبدال السين صاداً عند بني العنبر وتميم هو أنَّ الصاد صوت إطباق مفخم والميل إلى الأصوات المفخمة من صفات اللهجات البدوية.

2. في رواية للفراء[81]: أنَّ بني سليم وهوازن وأهل العالية وهُذيل يبدلون السين صاداً في بعض الألفاظ وقد مثل لذلك بقول هؤلاء (هو أخوه صَوْغه) بالصاد قال: وأكثر الكلام بالسين.

هذه القبائل التي ذكرها اللسان في رواية الفراء، حجازية حضرية فما المسوغ الصوتي الذي جعلها تنطق بصوت مفخم لا يلاءم رقَّة أهل الحشر ؟ يجاب عن هذا بالآتي:

1. ربَّما تكون هذه الرواية وهماً من الراوي في عزو الصاد إلى قبائل حضرية.

2. من تتبع كتب التراث يرى أنَّ القبائل يقلد بعضها بعضاً في النطق بالأصوات ولكن ذلك من الندرة التي لا تؤثر في خصائص اللهجات.

3. لما كان الصاد والسين من الأصوات الرخوة المهموسة فلم يمنع هؤلاء الحضر من النطق بأيها شاء مانع صوتي لاسيما وأنَّ الصوتين من مخرج واحد.

السين والياء

تبدل السين من الياء عند بعض العرب. وقد روي لرجل من طيء قوله:

وأنت الذي دسيَّت عمرو فأصبحت حلائلكم منكم أراهِل ضـيعا[82]

والأصل دست. فأبدل من أحد السينين ياء. وقد ألجأ الطائي إلى هذا توالي السينات.

وقد مال إلى هذا الخاصة الصوتية القبائل التي لا تتأنى في نطقها وهي قبائل البدو ومنها طيء التي أرجح أنَّ الشاعر تكلم بلهجتها على هذه الصورة المروية لأجل السهولة في النطق واختصار الجهد العضلي. ويطلق المحدثون على هذه الظاهرة (المخالفة) وهي أنَّ الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيبدل أحدهما بصوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين. وقد أثبتت البحوث الصوتية أنَّ المخالفة قد شاعت في كثير من اللغات السامية وعدت من التطور التاريخي للأصوات، وهي موجودة في كتب علمائنا القدماء، فقد أورده سيبويه في باب سماه (باب ما شذَّ فأبدل مكان اللام لكراهية التضعيف وليس بمطرد)[83].

وجاء لها بأمثلة منها (تَشرَّبت وتظنَّيت وتَقَصَّيت) أي:

تسرَّرت وتظنَّنت وتقصَّصت

فالذي تم في ظاهرة المخالفة، هو ان يبدل أحد الصوتين المتماثلين بصوت لين طويل ــ وهو الغالب ــ أو بأحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين في بعض الأحيان، ولاسيما اللام والنون، للنطق بها في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلي يبدل أحد الصوتين بتلك الأصوات التي لا تستلزم مجهوداً عضلياً كأصوات اللين وأشباهها[84].

الشين والسين

تبدل الشين سيناً في ألفاظ وردت في كتب الإبدال وغيرها. ولكن لم تنسب هذه الألفاظ إلى لهجة بعينها إلا ما جاء في لفظة (هو جاحَشَه في القتال) وهو المشهور عند عامة العرب إلا عند بعض العرب كما قال الأصمعي. وهؤلاء الذين استثناهم الأصمعي هم بنو فزارة. فقد كانوا يقولون (جاحسة) في القتال بالسين. ويعضد ذلك قول رجل منهم.

والضرب في يوم الوغى الجَحَّاس[85].

وبنو فزارة قبيلة حجازية آثرت السين على الرغم من أن الصوتين رخوان مهموسان متقاربان في المخرج، ولذا جاز الإبدال بينهما من الناحية الصوتية.

أمّا المسوغ الصوتي لميل قبيلة فزارة إلى النطق بالسين ف أرى إلاّ أنَّ الشين كان أصعب في النطق من السين عند القبائل المتحضرة، لأنَّه قد يُعطِّش في بعض الأحيان فيكون أقرب إلى الجهر، ويشبه في هذه الحالة الجيم الكثيرة التعطيش.

الشين والصاد

الشيص: هو المعروف. ولكن بلحارث بن كعب يبدلون الشين صاداً فيقولون: الصيص[86].

والشين والصاد صوتان رخوان مهموسان متقاربان في المخرج ولذا ساغ الإبدال بينهما.

أمّا المسوغ الصوتي لقلب الشين صاداً عند بلحارث، فهو أنَّ هذه القبيلة من قبائل نجد المشهورين بميلهم إلى الأصوات ذات الفخامة. وبما أنَّ الصاد صوت مطبق فلذا آثرَته تلك القبيلة.

إبدال الصاد

الصاد والزاي

1. تبدل الصاد الساكنة التي بعدها دال زاياً. ويظهر أن تلك الخاصة الصوتية من صفات لهجة طيء. ويؤيد هذا، الشاهد المروي عن حاتم الطائي وهو قوله:

(هذا فَزْدي أنه)[87] أي: هذا فصدي. فقد استبدلت الصاد زاياً خالصة. ويشرك بعض العرب طيئاً في إبدال الصاد زاياً لكن ليس بهذه الصورة فطيء تفردت بذلك.

وقد سوَّغ الإبدال بين الصوتين: صفة الرخاوة واتحاد المخرج أمّا المسوغ من الناحية الصوتية لإخلاص الصاد عند طيء، فهو أن هذه القبيلة موغلة في البداوة وطبيعتها في الخشونة تقتضي النطق بأصوات قوية.

2. قبيلة ربيعة تبدل الصاد زاياً في (لصق) فيقول (لزق) وربيعة قبيلة كبيرة لها فروع، فالأولى أن ينسب النطق بالزاي المجهور إلى الفرع الذي له صلة بالبداوة، وبما أنَّ في تلك القبيلة ثلاثاً من الموازن واحدة في الحضر وهي مازن ربيعة واثنتين من البدو وهما مازن تميم ومازن قيس، فنسبة هذه الظاهرة إلى القبيلتين هو الصحيح.

3. حكى الرواة أنَّ تميماً تبدل الصاد زاياً في ألفاظ مخصوصة، فقد جاء في شاهد من الشعر لرجل من تميم ما يؤيد ذلك فهو يقول:

فقلت في نفسي كلاماً صادقاً هذا لعمر اللهِ من شر القنَز[88]

يريد: القنص وهو الصيد. وميل تميم إلى الصوت المجهور من خصائصها البدوية

4. رويَ أنَّ بني عذرة وكلب وبني القين يبدلون الصاد زاياً خالصة[89].

الصاد والسين

قبيلة قيس تبدل الصاد سيناً في (لصق) فتقول (لسق) رُويَ ذلك في اللسان[90]. وهذه ظاهرة غريبة، لأنَّ قيس قبيلة موغلة في البداوة ومن خصائصها الصوتية الميل إلى الأصوات المفخمة فكيف استبدلت الصاد بالسين ؟ فيجاب عنه:

1. يقول أهل اللغة[91] إنَّ بعضاً من قيس جاور أهل الحجاز فنطق مثل نطقهم. وهذا هو السبب الذي جعل القبيلة تنطق بالسين في تلك الظاهرة.

2. أرى أنَّ المسوغ الآخر لهذه الخاصة هو أنَّ السين يضيق مخرجها عند النطق بها فكأنَّما ينطق بصوت قريب إلى الشدَّة، في حين أنَّ الصاد كثيرة الرخـــاوة لا يعترضها مثل ما يعترض السين.

الصاد والشين

عُزِيَ إلى بعض بني دبير إبدال الصاد شيناً في ألفاظ منها الشـــيش فـــي (الشيص). وقد جاء في شعر لرجل منهم فهو يقول:

يدلك من تمـــر ومـــن شيشـــاءِ[92]

أي: شيصاء. والصاد والشين صوتان رخوان مهموسان متقاربـــان فـــي المخرج ولذا كان بينهما إبدال.

ولكن يبقى إيجاد المسوغ الصوتي لنطق دبير أو بعضها بصوت مهمـــوس رخو لاسيما إذا عرفنا أنَّ دبير قبيلة بدوية، فيُجاب عن هذا بالآتي:

1. لما كان الصوتان متشابهان في صفة الهمس والرخاوة وقرب المخرج فمـــن السهل إبدال أحدهما بالآخر.
2. إنَّ الواحد من القبيلة يخالف لهجة قبيلته في نطق الأصوات تبعـــاً للظـــروف الصوتية المحيطة به، فقد يجاور قبيلة حضرية أو بدوية فيكون هـــذا مـــدعاة للتأثر بهم.

الصاد والضاد

المعروف انقاصَت سنُّه، إذا انشقت. والصاد لغة أكثر العرب، وهُذيل تبدل الصاد ضاداً فتقول: (انقاضَت) ويؤيد هذه الصفة عند هذه القبيلة شعر لأبي ذؤيب الهذلي يقول فيه:

فراق كقيض السن فالصبر إنَّـــه لكل أُنـــاس عثـــرة وجبـــور[93]

قال: كقيض. أي: كقيص.

والمسوغ الصوتي لإبدال الصاد ضاداً عند هُذيل، هو أنَّ الضاد صـــوت شديد مجهور، وعلى الرغم من أنَّ هُذيل قبيلة حجازية فقد ذكر أنَّها تأرجحت بين

الحضر والبدو ولذا قلدت تميم في هذه الظاهرة وآثرت الصوت الشديد المجهور. فالمسوغ للإبدال هو اشتراك الصوتين في صفة الإطباق وقرب المخرج.

الضاد والصاد

المشهور: الضِئبِل وهو الداهية وبنو ضبه يقولون (الصِئبَل)[94] فهم يبدلون الضاد صاداً، والضاد أكثر وقد رواه أبو عبيدة وغيره والصوتان مطبقان متقاربان في المخرج إلاّ أنَّ الضاد مجهور والصاد رخو مهموس فصفة الإطباق وقرب المخرج سوغا إبدالهما. والإشكال في هذه الظاهرة هو ميل ضبة إلى النطق بالصوت الرخو المهموس وهي قبيلة بدوية من خصائصها تفضيل الأصوات الشديدة المجهورة. ويمكن حل هذا الإشكال بأمور قد تكون قريبة من الواقع منها:

1. إنَّ الصاد من الأصوات المفخمة التي تميل إليها القبائل البدوية وإبداله من الضاد عند تلك القبيلة كان تعويضاً عن النطق بالصوت الشديد المجهور.
2. رُبَّما يكون بعض ضبه يبدل الضاد صاداً، متأثراً بنطق قبيلة حجازية فقد يخرج الرجل عن خصائص لهجته مراعياً للظروف الصوتية المحيطة به.

إبدال العين

العين والجيم

رُوِيَ في اللسان[95] أنَّ قيس تبدل العين جيماً فتقول في (الأصلع) (الأصلج) والعين والجيم صوتان مجهوران. الأول منهما متوسط بين الشدَّة والرخاوة والثاني شديد وهما مختلفان في المخرج. وصفة الجهر هي التي سوغت إبدالهما صوتياً.

والمسوغ الصوتي لإبدال العين جيماً عند قيس، هو أنَّ هذه القبيلة موغلة في البداوة وبما أنَّ الجيم من الأصوات الشديدة المفخمة قلت مالت إليه تلك القبيلة.

العين والحاء

تبدل قبيلة بكر العين فتقول في (معهم) (مَحَمّ)[96]، والذي حدث في هـــذه الظاهرة الصوتية لقبيلة سعد: هو أنَّ صوت العين المجهور تأثر تـــأثراً رجعيـــاً بصوت الهاء المهموس فقلب صوتً مهموساً هـــو (الحـــاء) فصـــارت الصـــيغة (مَحْهم) ثم قلبت الهاء حاء فاجتمع صوتان متماثلان، ثم أُدغمَ أحدها فـــي الآخـــر فصارت (محم)[97].

والعين والحاء من مخرج واحد، لذا إبدال أحدهما من الآخر. أمّا المسوغ الصوتي لإبدال العين جاء عند سعد، فهو أنَّ سعداً قبيلة حجازية حضرية تـــؤثر الأصوات المهموسة، ولذا نطقت بالحاء.

العين والغين

الضبعَطي: كلمة يفزَّع به الصبيان. وبنو دبير يبدلون العين غيناً فيقولون: الضبغَطي[98]، ويؤيد لهجة هذه القبيلة بيت شعر لمنظور الدبيري إذ يقول:

يفزع أن خـــوف بالضـــبغطي

ودبير فرع من قبيلة أسد البدوية. والعـــين والغـــين صـــوتان مجهـــوران متوسطان بين الشدَّة والرخاوة وهما من مخرج واحد وهذا هو المسوِّغ للإبدال.

وهذا التطابق بين الصوتين لا يدع مسوغاً لبني دبير إلاّ في شيء واحـــد كما أرى، وهو أنَّ الغين يضيق مجراها عند النطق بها فيسمع لها حفيف، وبهـــذا تكاد تكون قريبة من الأصوات الانفجارية التي تناسب طبائع البدو.

العين واللام

يُقال: عَفَت الشيء، إذا لواه. ورويت هذه اللفظة بصـــيغة أُخـــرى وهـــي (لَفَت)[99] ومعناها مثل معنى (عفت) وبالتحقيق فإنَّ اللام لهجة لقبائل تميم، ويؤيد هذا ما جاء في شر لحميد الارقط في قوله:

وانصعن يوقدن الحصى بالفدفد أسرع من لفت رداء المرتدي[100]

وحميد بن الارقط تميمي لأنَّه من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم والعين واللام صوتان مجهوران متوسطان بين الشدَّة والرخاوة لكنَّهما يختلفان في المخرج، فاتفاقها في الصفة هو الذي سوَّغ إبدالهما.

والمسوغ الصوتي لإبدال العين باللام عند تميم أو بعضها، هو أنَّ اللام من أوضح الأصوات الساكنة في السمع كما يراه المحدثون ولهذا أشبه من هذه الناحية أصوات اللين.

والبدو بحسب ما هو معروف يميلون إلى النطق بالأصوات التي تكون أكثر وضوحاً في السمع ولذلك آثروا اللام على العين في هذه الظاهرة.

العين والنون

تدل الظواهر المروية أنَّ العين تبدل نوناً. وقد سمي هذا الإبدال (استنطاء) وليس هذا الإبدال عند عامة العرب وإنَّما يُعزى إلى قبائل معينة ذكر الرواة أسماءها، وهي: سعد بن بكر، وهُذيل، الأُزد، قيس الأنصار، أهل اليمن، وأكثر هذه القبائل اشتهاراً بهذه الظاهرة هي القبائل اليمنية، وقد بين العلماء القدماء أنَّ العين التي تبدل نوناً هي التي تكون ساكنة وتجاور الطاء[101]، لكن يخالفهم الدارسون المحدثون[102] في رأيهم هذا.

والأمثلة التي وردت لتأييد ظاهرة الإبدال بين العين والنون كثيرة ومنوعة منها: قول النبي ﷺ: (لا مانع لما أنطيت ولا منطي لما منعت) و(اليد النمطية خير من اليد السفلى) و(أنطوا الثَبَجة) ومن القراءات الشاذَّة: {إنَّا أنطيناك الكوثر}[103] {وأنطيناهم تقواهم}[104].

ومن الشعر قول الشاعر:

من المنطيات الموكب المجع بعدما   يرى في فروع المقلتين نضوب[105]

وقول الأعشى:

جيادك في القيظ في نعمة   تصان الجلال وتُنطي الشعيرا[106]

وهذا الإبدال شائع في لهجات العراقيين فهم يقولون: أنطاني أنطيته، ينطي، ينطيني. وبعضهم يقول: نطاني ونطيته. وهو شائع أيضاً في لهجات الأعراب بصحاري مصر.

والاستنطاء عند المحدثين[107]: هو أن يقلب صوت من أصوات الفم إلى صوت من أصوات الأنف، أو العكس، وهو أمر واقع ومعترف به في اللهجات. أمّا قلب العين نوناً فشيء لا تقره الدراسات الحديثة، لأنَّه لا مبرر له من الناحية الصوتية، على الرغم من اشتراك العين والنون في الصفة فكل منهما صوت مجهور متوسط بين الشدَّة والرخاوة. وإذا عدَّ هذا الاشتراك في الصيغة مسوغاً للإبدال بين الصوتين، فإنَّه مسوغ ناقص لا يكفي لقلب العين نوناً لأنَّ العين تختلف كثيراً عن النون من الناحية الصوتية.

ومن المعروف أنَّ القوانين الصوتية تفيد أنَّ الصوت لا يقلب إلى غيره إلاّ إذا اشتركا في الصفة والمخرج.

أمّا مجاورة الصوتين المذكورين لبضعهما فليس له تأثير في الإبدال بينهما، لأنَّه ورد في أفعال جاورت فيها العين الطاء ولكن لم يحدث بينهما إبدال مثل: عطب، عطش، عطف، عطس، عطل، عطر،[108].

ومن هذا يرى بعض المحدثين أنَّ رواية ما سُمِّيَ بالاستنطاء مبتورة وناقصة، وإنَّه في الغالب نتيجة أخطاء الأجيال الناشئة حين يحالون التوفيق بين مجرى الأصوات فيجعلونها أمّا من الفم أو من الأنف.

وقد فسَّرت ظاهرة الإبدال هذه بوجوه أخرى منها[109]:

إنَّ النون لم تكن مقابلة للعين في أعطى وإنَّما جاءت من أنَّ الفِصْل كان (أتى) عفى أعطى ثم ضعف الفعل فصار (أتَّى) بتشديد التاء. ومعلوم أنَّ فك الإدغام في العربية وغيرها من اللغات السامية يقتضي إبدال النون بأحد الحرفين المتجانسين كما تقول في العربية (جندل) وهي من (جدل) بتشديد الدال وهذا كثير معروف. ومنها: إنَّ إبدال العين نوناً لم يقتصر على الفعل أعطى وإنَّما يحدث في كل عين سواء جاورت الطاء أو صوتاً آخر، وإنَّه كان ينطق نطقاً تمتزج فيه العين بالنون قديماً، بان يجري النفس مع العين من الأنف والفم معاً. ويرى بعض المستشرقين[110]: إنَّ الأنفية كانت من صفات العين في السامية، وهذا يؤيد رأي علماء العربية القدماء في إبدال العين نوناً. وقد حاول رابين أن يربط بين مادة

(أعطى) العربية وبين (نطى) في العبرية و(مطى) في الآرامية والأثيوبية وبين (أمطى) في الأمهرية، وكلها تعني أعطى أو منح أو مد يده إلى ـ أحد ـ كما أراد أن يوجد شبهاً في المعنى بين تلك الصيغ و(أمطى الظهر) في العربية معنى (أعطاه عطية) ويمنع رابين أن تكون العين قد تحولت إلى نون مطبقة بتأثير عامل صوتي هو الطاء.

الغين والهاء

الغمغمة والهمهمة: الصوت في الصدر لا يُفصح به. والغمغمة أكثر استعمالاً من الهمهمة، يؤيد ذلك الأشعار المروية لها، فقد أورد أبو الطيب في الإبدال أكثر من شاهد[111]، منها قول الشاعر:

كغماغم الثيران بينهم   صوب تغمض دونه الحدق

ومنه قول عنترة:

في حومة الميدان التي لا يتقي   غمراتها الأبطال غير تغمغم

أمّا الهمهمة، فلم يرد لها إلا شاهداً واحداً للراعي النميري وهو

طرقا فتلك هماهمي أقريها   قلصاً لواقع كالقشِ وحولا

فالتحقيق يثبت أنَّ الهاء لهم لنمير، وهي مبدلة من الغين والغين والهاء صوتان حلقيان متحدا المخرج، لكن الأول مجهور والثاني مهموس. فاتحادهما في المخرج سوَّغ إبدالهما.

أمّا المسوغ الصوتي لإبدال الغين هاء نمير، فهو أنَّ تلك القبيلة من قبائل غربي الجزيرة، وهؤلاء حضر يفضلون الأصوات الرخوة.

إبدال الفاء

الفاء والباء

1. رُويَ أنَّ بعض أهل اليمن يبدلون الفاء في (الخَزف) باء فيقولون (الخزَب)[112]. والباء والفاء صوتان شفويان، فخرجهما واحد، إلاّ أنَّ الأول شديد مجهور والثاني رخو مهموس فالاتفاق في المخرج هو الذي أباح الإبدال بينهما.

وبما أنَّ اليمن قبائل، فمنهم قبائل حضرية والأخرى بدوية، فالذين يبدلون الفاء باء هم من البدو، لأنَّ الباء صوت شديد مجهور يناسب طبائعهم المجبولة على الخشونة.

2. قبيلة خفاجة يبدلون الفاء باء في (عكف) فيقولون: عكبت الطير، وعكَبت الخيلُ عكوباً في: عكفت الطير، وعكفت الخيل عكوفاً[113]. وخفاجة من قبيلة عقيل البدوية، ولذا آثرت صوت الباء المجهور الشديد. ويؤيد هذه الظاهرة الصوتية في لهجة خفاجة، قول مزاحم العقيلي:

تظل نسور من شمام عليهم عكوباً من العقبان عقبان وائل[114]

فقد قال (عكوبا) يريد: عكوفاً فأبدل.

الفاء والثاء

1. رُويَ أنَّ تميم تبدل الفاء تاء في (الأثافي) فتنطق بها: (الأثاثي)[115]. والفاء والثاء صوتان رخوان مهموسان مختلفا المخرج أمّا المسوغ الصوتي لنطق تميم بالثاء على رغم همسها ورخاوتها، فهو أنَّ الثاء كما ثبت في الدراسات الصوتية الحديثة، أكثر وضوحاً في السمع من الفاء، فهي تسمع من مسافة أبعد مما تسمع منه الفاء ولهذا آثرها البدو، مضافاً إلى هذا أنَّ الفاء صوت شفوي أنفي يطول زمن النطق به، والبدو يتوخون السرعة فلا يتحملون البطء في النطق.

2. المشهور: ولد في الدِفَئِيّ. ولهجة طيء (الدِثَئِيَ)[116]، فهي تبدل الفاء ثاء. وهذه القبيلة موغلة في البداوة، فآثرت الصوت الأكثر وضوحاً في السمع الذي لا يطول زمن النطق به.

الفاء والقاف

عزي إلى تميم وهوازن أنَّهما يبدلان الفاء قافاً في (الزحاليف) إذ ينطقان بها (الزحاليق)[117]. والقاف صوت شديد مجهور، والفاء صوت رخو مهموس. وكلا الحرفين يختلفان في المخرج.

ولا غرابة في نطق تميم بالقاف، ولكن الغرابة في نطق هوازن بهـــا، لأنَّ هذه القبيلة حجازية تؤثر الأصوات المهموسة والرخوة، إذن كيـــف يفســـر هـــذا النطـــق ؟ يجاب عن ذلك بشيئين:

1. قد تكون نسبة النطق بالقاف لهوازن غير صحيحة، وذلك من وهم الراوي .
2. رُبَّما يكون الناطق بعض هوازن ممن جاور تميم فتأثر بها.

إبدال القاف

القاف والجيم

الجص: هو المعروف. ولهذا أهل الحجاز[118]: القص بالقـــاف. والجـــيم والقاف صوتان مجهوران شديدان فساغ الإبدال بينهما. أمّـــا نطـــق الحجـــازيين بالقاف فلا مسوغ له من الناحية الصوتية، لأنَّ هؤلاء الحجازيين بالقاف فلا مبرر له من الناحية الصوتية، لأنَ هؤلاء لم يعرف عـــنهم النطـــق بالصـــوت الشـــديد المجهور، ومع ذلك فمن الممكن إيجاد مبرر صوتي لهذه الظاهرة بأمور منها:

1. إنَّ الناطق بالقاف ليس كل الحجازيين، وإنَّما بعض ممن له صـــلة بالبـــداوة كقبيلة هُذيل.
2. إنَّ حدوث هذه الظاهرة ناتج من انتقال مخرج الجيم إلى مخرج القاف.
3. بما إنَّ لفظة (الجص) غير عربية، وأنَّه ليس في العربية لفظة يجتمع فيها جيم وصاد، فأبدل هؤلاء الحجازيين الجيم قافاً لها السبب.

القاف والشين

المشهور: اعتنقه. والمعانقة في الحرب. وقد رُويَ أنَّ هُـــذيل[119] تبـــدل القاف شيناً فتقول: اعتنشه، وهي المعانشة. والقاف صوت شديد مجهور والشـــين صوت رخو مهموس. والصوتان متقاربان في المخرج فجاز الإبدال.

ونطق هُذيل بالشين يلائم طبيعتهـــا الحضـــرية، لأنَّ هـــذه القبيلـــة مـــن الحجازيين، وهؤلاء مشهورون بالميل إلى الأصوات المهموسة والرخوة.

القاف والكاف

تبدل القاف كافاً في لهجة لبعض غنم بن دودان من بني أسد. فهم يقولون (فلا تكهر)[120] في ﴿فَلا تَقْهَرْ﴾. والصوتان مجهوران، وهما متحدان في المخرج لأنَّهما من أصوات أقصى الحنك، لكن الكاف مهموس والقاف مجهور. وغنم قبيلة بدوية لأنَّها من بني أسد، فنطقت بالكاف لأنَّه شديد، وكان هذا عوضاً عن الجهر في الصوت.

القاف والنون

تبدل القاف نوناً في لهجة دبير، فإنَّهم يقولون في (قفز) (نفـزَ). والقــاف أفشى من النون وأعرف عند العرب.

وممّا يؤيد لهجة بني دبير قول جران العود:

تريج بعـد الـنفس المحفـوز أراحــة الجدايــة المنَفــوز[121]

يريد: القَفوز. وجران العود من بني دبير من أسد.

والنون والقاف صوتان مجهوران، الأول متوسط بين الشــدَّة والرخــاوة والثاني شديد، وكل واحد منهما من مخرج.

فالمسوغ للإبدال صفة الجهر.

والمسوغ الصوتي لإبدال القاف نوناً عند بني دبير، هو أنَّ النون يناســب البدو، لأنَّه صوت شبيه بأصوات اللين، وهذه الأصوات أوضح في الســمع مــن غيرها، لأنَّها تسمع من مكان تختفي عنده الأصوات الساكنة التي منها القاف.

إبدال الكاف

الكاف والتاء

رُوِيَ أنَّ رجلاً من قيس أبدل الكاف تاءً فقال: هذا رجل سكتيت[122]، يريد سكيت.

والكاف صوت شديد مهموس والتاء مجهور شديد، فالجامع بينهما صفة الشدَّة. وهي التي سمحت بالإبدال. لأنَّ مخرج الصوتين مختلف. أمّا صورة هذه الظاهرة الصوتية، فهي أنَّ هذا الرجل القيسي البدوي آثر النطق بالتاء الشديد المجهور على الكاف المهموس، فقلب إحدى الكافين تاء، فحصل من هذا اجتماع صوتين متماثلين أوجدا الانسجام الذي يبغيه البدو ليسهل عليهم النطق، لأنَّ النطق بصوتين غير متماثلين. فيه تطويل في الجهد العضلي.

الكاف والخاء

المنقول عن أهل اللغة، أنَّه يقال: سكران مُلْتك، أي يابس السكر. وبنو أسد يبدلون الكاف خاء فيقولون: سكران مُلْتَخ[123]. وقد جاء في رواية عن الفراء ما يعضد هذه الظاهرة عند تلك القبيلة. فقد رُوِيَ أنَّه سمع امرأة منهم تقول: جاءنا سكران ملتكا.

ومن الأمثلة الأخرى التي تبدل فيها الكاف خاء عند أسد قولهم: أكبأنَّ والأصل أخبأنَّ. أي: تداخل. ويؤيد هذا شعر لمدرك بن حصن الأسدي إذ قال: **يا كرواناً صك فاكبأنَّا**

يرد أخبأنَّا.

والكاف والخاء صوتان مهموسان، إلاّ أنَّ الأول شديد والثاني رخو ومخرج الصوتين مختلف. فالمسوغ للإبدال هو صفة الهمس.

ونسبة هذه الصفة الصوتية إلى بني أسد، هي من خصائص القبائل التي تميل إلى النطق بالأصوات الشديدة المناسبة لطبائعها.

الكاف والسين

رُويَ أنَّ قبيلة ربيعة تبدل الكاف في المذكر والمؤنث سيناً[124]. فتقول في: منكَ: منسَ وفي منكِ: منسِ. وقد أطلق القدماء على هذه الخاصية الصوتية (الكسكسة) وبما أنَّ الكاف والسين يتفقان في صفة الهمس، فلذا جاز الإبدال بينهما وربيعة قبيلة تشابه الحجازيين في خصائصهم الصوتية، فهي تؤثر الأصوات المهموسة كما يؤثرها هؤلاء، ولهذا نطقت بالسين.

الكاف والشين

تبدل الكاف المؤنثة عند الوقف شيناً. وقد عُزيَ هذا الإبدال إلى قبيلة ربيعة وغيرها من القائل، لكن ربيعة أكثرها اتصافاً بها. وتسمى تلك الظاهرة الصوتية (الكشكشة).

ومن الأمثلة التي تؤيد هذه الظاهرة من الشعر، قول الشاعر:

فعينا شِ عيناها وجيدشِ جيدها سوى أنَّ عظم الساق منشِ دقيق

ومنه قول الآخر:

إذا دنوت جعلت تنئيشِ وإن نأيت جعلت تدنيشِ[125]

ومن النثر قولهم: (إذا أعياشِ جارتُشِ ما قبلي على ذي بيتِشِ) ومنه: (أجرِ وراءَشِ فإنَّ مولاشِ يُناديشِ)[126].

والمسوغ للإبدال بين الكاف والشين، هو صفة الهم وقرب المخرج. وميل ربيعة إلى السين بدلاً من الكاف، بسبب كونها قبيلة حضرية تؤثر الأصوات الرخوة المهموسة التي توافق رقة الحضر.

والقدماء والمحدثون مختلفون في تسويغ ظاهرة الكشكشة من الناحية الصوتية، فالقدماء يبررونها بقولهم: إنَّ كسرة الكاف الدالة على التأنيث تخفى عند الوقف فأرادوا التمييز بين المؤنث والمذكر، ففصلوا بينهما بحرف الشين، لأنَّ الفصل بالحرف أقوى من الفصل بالحركة.

أمّا المحدثون[127]، فقد قالوا في تسويغ هذا المظهر الصوتي: إنَّ العلماء توصلوا في مقارنتهم للغة السنسكريتية باللغة اليونانية واللاتينية إلى قانون صوتي سموه قانون الأصوات الحنكية. فقد لاحظوا أنَّ أصوات أقصى الحنك كالكاف

والجيم الخالية من التعطيش تميل بمخرجها إلى نظائرها من أصوات أمامية حين يليها صوت لين أمامي كالكسرة، لأنَّ صوت اللين الأمامي في مثل هــذه الحالــة يجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك فتنقلب إلى نظائرها مــن أصــوات وسط الحنك. وعلى هذا فغنَّ ما حسبه القدماء شيناً ليس هي الشين التي نعرفهــا وإنَّما هي (تش)، وكذلك السين في الكسكسة هي (تس).

الكاف والقاف

رُويَ أنَّ الكاف تبدل قافاً في لهجة تميم وقــيس وأســد، فيقولــون فــي (كشطت) (قشطت)[128]. وقد قرئ بلهجتهم في الشواذ: {إذا السماء قشطت}[129].

والكاف والقاف صوتان شديدان، الأول مهموس والثاني مجهور، ومخرج الحرفين واحد. فصفة الشدَّة واتفاق المخرج أباح الإبدال بين الحرفين أمّا المسوغ الصوتي لنطق تلك القبائل بالقاف بدلاً من الكاف، فهو كونها قبائل بدوية تفضــل في كلامها الأصوات الشديدة المجهورة المناسبة لطبائعها في الخشونة.

إبدال اللام

اللام والنون

المشهور: سجيل. وهو الوارد في القرآن. وقد رُويَ أنَّ قبيلة عجلان تبدل اللام نوناً في تلك اللفظة فتقول: (سجين) ويعضد هذه الظاهرة شعر للعجلان وهو قوله:

ورجلة يضربون الهام عن عرض ضربا تواصت به الأبطال ســجينا[130]

واللام والنون صوتان مجهــوران متوســطان بــين الشــدَّة والرخــاوة، ومخرجهما واحد، ولهذا صحَّ الإبدال بينهما. وبنو عجلان فرع من قبيلة ربيعــة الحضرية.

فالمسوغ الصوتي لنطق تلك القبيلة بالنون كما أرى، هو أنَّ النون أســهل في النطق في اللام، لأنَّ مجرى الهواء معها من التجويف الأنفي وحده، وما هذه صفته من الأصوات يكون أقل صعوبة في النطق من غيره.

اللام والياء

في رواية للفراء أنَّ أهل الحجاز وأسد يقولون (أمللت)، وإن بني تميم وقيس يبدلون اللام ياء فيقولون: (أمليت)[131]. ورواية الفرَّاء قد تصدَّق على أهل الحجاز الذين يبقون الأصوات كما جاءت في ألفاظها ولا يغيرونها إلا نادراً. لأنَّهم يتأنون في الكلام، وتلك طبيعة الحضر.

أما أسد: فأرى أنَّ الرواية لا تشملها، لأنَّ أسد قبيلة بدوية من خصائصها السهولة في النطق واختصار الجهد العضلي، فإن تنطق بصوتين متماثلين غير مقبول. أمّا المسوغ الصوتي لإبدال اللام ياء عند تميم وقيس، فهو أنَّ هاتين القبيلتين بدويتان اشتهرتا بالمخالفة بين الأصوات المتماثلة أو إدغام بعضها في بعض للسهولة في النطق. وقد خالفتا في هذه الظاهرة بين صوتي اللام بإبدال أحدهما بصوت لين طويل وهو الياء. وقد أطلق العلماء المحدثون على تلك الظاهرة الصوتية (المخالفة)[132].

وقد سوَّغ الإبدال بين اللام والياء، كونهما مجهورين.

إبدال الميم

الميم والباء

1. تبدل الميم باء في لهجة بني أسد. فقد روي الفراء أنَّهم يقولون: أطبأننت في أطمأننت[133]. واستشهد لهذا الإبدال بقول الشاعر:

وبشرني جبينك من بعيد بخير فأطبأن له جنابي

ويظهر أنَّ هذا الشاعر ينتسب لتلك القبيلة.

والميم والباء صوتان شفويان مجهوران، لكن الأول متوسط بين الشدَّة والرخاوة والثاني شديد.

وإيثار بني أسد للباء على الميم، لأنَّ الباء شديد والميم متوسط فالصوت الخالص في الشدَّة هو الذي ناسبها في هذا المظهر الصوتي.

2. من القبائل التي نَسب لها قلب الميم باء أيضاً: قبيلة مازن، وقد اشتهرت به أكثر من غيرها، ولكن في ألفاظ معروفة. فهم يقولون في (ما أسمك) (باسمك)[134]. وعزي هذا الإبدال إلى بكر وائل أيضاً، وكلا القبيلتين من ربيعة،

إلا أنَّ مازن أعرف به. وموازن ربيعة ثلاث: مازن ربيعة، ومازن تميم، ومازن قيس. فالأولى أن ينسب إبدال الميم باء إلى مـــازن تمـــيم أو مـــازن قـــيس، لأنَّ القبيلتين بدويتان اشتهرتا بالميل إلى الأصوات الشديدة.

الميم والنون

1. روى أنَّه يقال: الغيم والغين. والغيم أكثر استعمالاً. والذي يبدل الميم نوناً في هذا اللفظ قبيلة تغلب. وقد جاء في شعر لرجل منهم ما يعضد ذلك فقد قال:

كأني بين خافيتي عقاب تريد حمامة في يوم غين(135)

وتغلب من قبائل شرقي الجزيرة فهم بدو، ونطقهم بالنون بدلاً من الميم، لأنَّه لا فرق بين الصوتين، فهما مجهوران متوسطان بين الشدَّة والرخاوة، إلا أنَّ الميم شفوية والنون أنفية، فالمسوغ الصوتي كما أرى هو أن الغُنّة التي تصاحب النون، تجعل لها صوتاً مسموعاً من مسافة بعيدة، وهذا مما يؤثره البدو أهل الصحراء.

2. جاء في شعر للطرماح إبدال الميم نوناً، فقد قال:

ومُرَّة مُسودٍ من النسك قاتن(136)

أي: قاتم. والطرمَّاح بن الحكيم من قبيلة طيء. فالتحقيق أنَّ (قاتن) لهجة طائية. وقد آثرت طيء النون لأنَّها صوت شبيه بأصوات اللين، يمتاز عن الأصوات الساكنة بوضوحه في السمع، كما أنَّ الغُنَّة المصاحبة له تزيد في طول المسافة التي يسمع من عندها.

الميم والياء

تبدل الميم ياء عند قبيلة جذام. وليس كل ميم تبدلها جذام ياء، وإنَّما هذا في بعض الألفاظ. فقد جاء في شعر لسعد بن قرط الجذامي ما يعضد هذه الخصيصة. قال:

إيما إلى جنَّة إيما إلى نار(137)

يريد: إمّا إلى جنة إمّا إلى نار.

وجذام قبيلة من البدو تؤثر السهولة وتميل إلى الأصوات الواضحة في النطق. فقد أبدلت الميم بصوت لين طويل كثير الوضوح في السمع. وخالفت بين صوتين متماثلين لاختصار الجهد العضلي.

ويجوز الإبدال بين الميم والياء، لأنَّهما صوتان مجهوران.

إبدال النون ياء

قبيلة طيء تبدل النون في (إنسان) فتقول (إيسان)[138] والنون والياء صوتان مجهوران، الأول منهما متوسط بين الشدَّة والرخاوة، والثاني رخو. فصفة الجهر سوغت الإبدال بين الحرفين. والياء من أصوات اللين التي تفرق عن الأصوات الساكنة بالوضوح في النطق والسمع من مكان تقصر عنه الأصوات الساكنة.

وعلى الرغم من أنَّ النون من أشباه أصوات اللين ولكنها لا توازي الباء في الوضوح. ولهذا آثرت طيء البدوية النطق بصوت الباء.

إبدال الواو

الواو والألف

1. المشهور: مات يموت. وطيء تبدل الواو ألفاً فتقول: يمات[139] والألف والواو صوتا لين مجهوران رخوان. وهذا يسوغ الإبدال بينهما.

أمّا إبدال الواو ألفاً عند طيء فليس له ما يسوغه من الناحية الصوتية لأنَّ كلا الحرفين متساويان بالوضوح في السمع.

فتفسير هذه الظاهرة هو: إنَّ طيء احتفظت بالأصل القديم للمادة، أي (مات يمات) قبل أن تتطور إلى يموت. فالصيغة سامية[140].

ولذلك يرى أحد المستشرقين[141]: (إنَّ الألف في يمات قد عادت إليها بالمحاكاة) أي بمحاكاة اللهجات السامية.

الواو والياء

1. المعروف: مواثيق جمع ميثاق. وحكى بعض الرواة[142] (مياثيق) والياء لهجة طائية، يؤيد ذلك شعر لعياض بن درَّة الطائي وهو قوله:

ممن لا يحل الدهر إلا بأذننا ولا نسأل الأقوام عقد المياثق

يريد: المياثيث. والصوتان مجهوران رخوان، ولهذا صحَّ الإبدال بينهما. أمّا المسوغ الصوتي عند طيء لإبدال الواو ياء فهو أنَّ الواو في مواثيق تشبه

الواو في (يوم) وهي الواو المدية التي تنتمي إلى الأصوات الساكنة، وهي تختلف عن الواو في مثل (يقول) التي هي واو مد. فالواو العادية لما فيها مــن الحفيــف جعلها صوتاً ساكناً. ولهذا مالت طيء إلى النطق بصوت الياء، لأنَّه من أصوات اللين الواضحة في السمع.

2. المشهور: الصوَّاغ. وأهل الحجاز يبدلون الواو ياء فيقولــون: الصَــيَّاغ[143].

والواو والياء صوتان مجهوران رخوان. ولذا إبدال أحدهما من الآخر.

أمّا المسوغ الصوتي عند الحجازيين: فهو أنَّ هؤلاء حضر يميلــون إلــى الكسر لأنَّه من علامات الرِقَّة، والياء هي الكسرة الطويلة أو صوت اللين الطويل الذي يناسب خصائصهم.

إبدال الهاء

الهاء والنون

يُقال: تركته مُتفكِّهاً، أي متندِّما. ولهجة تميم: مُتفكِّناً[144] فهي تبدل الهــاء نوناً. وأنشدوا بيتاً لجُزَيّ الكاهلي يعضد لهجة تميم، وهو قوله:

عليك ما عشت بــذاك الرهــدن   من قبل أن نلحاك أو تفكنــي[145]

أراد: تفكهي. وبنو كاهل قبيلة بدوية لها علاقة بتميم.

وقد قُرئ بلهجة تميم في قراءة شاذة قوله تعالى: {فظلتم تفكنون}[146] بدل (تفكهون).

والهاء صوت رخو مهموس والنون صوت مجهور بين الشدَّة والرخــاوة فالمسوغ صفة الرخاوة.

أمّا المسوغ لنطق تميم وغيرها من البدو بالنون: فهو أنَّ النون من أشــباه أصوات اللين التي تسمع من مسافة أبعد من المسافة التي تسمع عندها الأصوات الساكنة.

الهاء والياء

يُقال: سألني فأوجهته أوجهه. وضبة تقول: أوجيته أوجيه إيجاءً[147].
وضبة قبيلة يمنية بدوية. أبدلت الهاء ياء لأنَّ الياء من أصوات اللين التي تمتاز عن الأصوات الساكنة بأنَّها تُسمع من مكان لا تصل إليه الساكنة.
والصوتان رخوان، الأول منهما مهموس والثاني مجهور وقد تمَّ الإبدال بينهما لاشتراكهما بالرخاوة.

إبدال الياء

الياء والجيم

عُزيَ إلى بعض القبائل وبخاصة البدو منهم، إبدال الياء جيماً, وقد اشتهرت قبيلة قُضاعة من بين تلك القبائل بهذه الظاهرة التي أطلق عليها القدماء (العجعجة) أو (عجعجة قضاعة)[148].

ويرى أحد الدارسين المحدثين[149]، أن ليس كل أحياء قضاعة السبعة تبدل الياء جيماً، وإنَّما الذي يبدل هما: جُهينة أو جرم. لأنَّ هاتين القبيلتين بدويتان، والخمس الأُخرى حضرية.

وقد مثلوا لتلك الصفة الصوتية بأمثلة من الشعر والنثر منها قول الراجز:

خالي عويف وأبو علج — المطعمان الشحم بالقشبج[150]

وبالغداة فلق البرنج

ومنه قول الآخر:

لا هم إن كنت قبلت حجج — فلا يزال بازل يأتيك بج

أقمرنهات ينزي وخرتج[151]

ومن النثر قولهم: (الراعج خرج معج) أي: الراعي خرج معي. يقول العلماء القدماء: إنَّ الياء التي تبدل جيماً تكون شديدة وخفيفة، وتأتي في الوقف والوصل، والقائلون بإبدالها في حال الوقف أكثر ممّن قالوا بقلبها في الوصل، والوقف هو الأرجح، لأنَّ الذين يقفون على الياء التي يقلبونها جيماً وهم بنو سعد خاصة يشددونها فيقولون: علي، تمش، حجتي.

وهذا هو الذي يسميه القدماء (الوقف بالتضعيف)[152]، نحو جـاء خالِـدّ، بتشديد المقطع الأخير من الكلمة عند الوقف عليها، وهذه هي الياء الشديدة التي أشار إليها العلماء القدماء.

أمّا الذين لا يضعفون، فتكون الياء التي يقفون عليها خفيفة. وهو رأي الفريق الآخر من العلماء.

ويظهر أنَّ القدماء من العلماء، كانوا يتصورون أنَّ الياء الشديدة التي ينطق بها القضاعيون هي حرف مد، والواقع أنَّ هذه الياء لم تكن ياء مد، بل كانت صوتاً ساكناً، أي أنَّه كان ينطق بها (الراعي) حتى يمكن أن نتصور قلبها إلى جيم وهو الصحيح. لأنَّ الذي يقلب إلى الصوت الصامت هو صوت صامت مثله. ولم يعهد ذلك في حركة قصيرة كانت أو طويلة[153].

أمّا العلاقة بين الياء والجيم من الناحية الصوتية فهي قوية، لأنَّ كلا الصوتين مجهور ومخرجهما واحد، وإنَّما الذي يفرق بينهما، هو أنَّ الجيم صوت أقرب إلى الشدَّة منه إلى الرخاوة، في حين أن الياء من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين، وليست بشديدة ولا رخوة أو فيها بعض الرخاوة. وقد تميل القبائل البدوية إلى الانتقال بالصوت من صفة اليسر إلى صفة العسر قصد التفخيم في الكلام.

الياء والواو

1. المشهور: (حيث). ونقل عن تميم أنَّهم يقولون (حوث)[154] يبدلون الياء واواً.
   والمسوغ الصوتي لهذه الظاهرة عند هؤلاء: هو أنَّ تميم بدوية، تؤثر الضم على الكسر، والواو هو الضمة الطويلة، لأنَّ الفرق بين الواو والضم هو في الكمية فقط، وإلاّ فوضع اللسان مع الاثنين متشابه. والعلاقة بين الياء والواو واضحة، فهما صوتنا مجهوران.
2. المعروف: ما أعيج من كلامه بشيء ما أعبأ به.
   وبنو أسد يبدلون الياء واواً فيقولون: ما اعوج به[155].
   وبنو أسد مثل تميم في يثار الضم على الكسر.

3. زعم الكسائي: إنَّ بعض أهل العالية يقول ما ينفعني ذلك ولا يضـــورني[156].
فقد نطق هؤلاء بالواو. والمشهور (يضيرني) بالباء وهذه الرواية تخالف مــا عرف عن القبائل الحجازية من الميل إلى الكسر، فلعلَّ هذه الرواية وهْم مــن الكسائي.

ويمكن إيجاد المسوغ الصوتي لأهل العالية، إذا افترضــنا أنَّ هــؤلاء أو بعضهم قد خرج على ما تعارف عليه أهل الحجــاز تبعــاً للظـــروف الصــوتية المحيطة به.

4. رويَ لشاعر هُذلي، هو خالد بن زهير إبدال الياء واواً في (أتيته) فقد قال:

كنــت إذا أتوتــه مــن غيــب يمس عطفي ويشــم جيبــي[157]

وهذه الرواية تشبه رواية الكسائي: (يضورني) المنسوبة لأهل العالية، لأنَّ هُذيل معدودة في القبائل الحجازية الحضرية التي لا تميل إلى الضم. وعلى الرغم من ها فإنّا نأخذ بقول أحد الدارسين المحدثين[158] الذي يرى أنَّ هُذيل تأرجحــت بين الحجاز وتميم في نطقها، وبهذا نسوغ نطق خالد الهُذلي بلواو.

إبدال الهمزة

الهمزة والألف

بنو كلب يبدلون الألف همزة فيقولون: هذه دَأَبَّة، وهذه امرأة شــأَبَّة[159].
أي دابَّة وشابة. وقرأ أيوب السختياني بلهجتهم: {ولا الضألّين} بهمز الألف، لأنَّــه كره اجتماع الساكنين الألف واللام فحرَّك الألف لالتقائهما فانقلبت همزة[160].

وفسَّره بعض المحدثين: بأنَّه هروب من المقطع المديد، لكراهــة النطــق بصوت طويل في مقطع مقفل، أو بأن النبر في لسان قبائل البادية يأخذ صـــوره التوتر[161].

ومن هذا الإبدال أيضاً قراءة عمرو بن عبيد {فيومئذ لا يُسأل عــن ذنبــه إنسٌ ولا جأن}[162].

ومن الشواهد الشعرية التي تؤيد هذه الظاهرة قول دكين:

راكـــدة مخلاتـــه ومحلبـــه وجله حتى أبيــأضَّ ملببــه[163]

ويقولون في الوقف: هذه (حُبْلاء) أي حُبلى، ورأيت (رَجُلاء) أي رجــلاً. فالهمزة في رجلاء بدل من الألف، أي عوض من التنوين في الوقف[164].

الهمزة والعين

تبدل الهمزة عيناً في لهجة غني من تميم ويكون هذا الإبدال في مواضع خاصة من اللفظة، فهم يقولون في (مؤتلي) (معتلي) وقد جاء في شعر طفيل الغنوي ما يؤيد ذلك. قال:

غداة دعانا عامر غير معتلي[165]

أي: مؤتلي. فيظهر أن غني تبدل الهمزة التي تكون وسطاً فقط.

الياء والأصوات المتماثلة

يقول علماء العربية القدماء: إنَّ الياء تبدل من حروف عدَّة على سبيل الشذوذ ولا يُقاس عليه. ويتم هذا الإبدال لكراهية التضعيف وليس بمراد.

وقد ضربوا أمثلة لهذا منها: أمليت الكتاب والأصل: أمللت الكتاب، وقصيت أظفارب في قصصت، وتظنيت في تظننت[166].

ويطلق الدارسون المحدثون[167] على تلك الظاهرة الصوتية اسم (المخالفة) وهي تحدث من التطور الذي يعرض للأصوات. فقد يكون في الكلمة صوتان متماثلان كل المماثلة، فيبدل أحد الصوتين بصوت آخر، يكون في أكثر الأحيان صوت لين طويل، أو يبدل بأحد أشباه أصوات اللين، وبخاصة الميم والنون، لكي تتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين والذي يسوغ هذا الإبدال من الناحية الصوتية هو أنَّ الصوتين المتماثلين يتطلبان مجهوداً يقلب أحد الصوتين إلى الأصوات التي لا تحتاج جهداً عضلياً كأصوات اللين وأشباهها.

ويشيع هذا المظهر الصوتي في لهجات الخطاب بالعراق، فهم يقولون: ظليت في ظللت، وحَسَّيت في حسست، وملَّيت في مللت، ومَرَّيت في مررت، وحَلَّيت في حللت، وقصَّيت في قصصت ونحو ذلك.

الهمزة والهاء

عُزِيَ لقبيلة طيء إبدال الهمزة هاء، فتقول في: إن فعلتَ فعلتُ: هِن فعلَ فعلتُ، وفي لأنك: لهنَّك[168].

والعلاقة بين الهمزة والهاء من الناحية الصوتية واضحة. لأنَّ مخرجهما واحد، وإنَّما تختلف الهمزة عن الهاء في أنَّ الأولى شديدة لا مجهورة ولا مهموسة، في حين أنَّ الهاء صوت رخو مهموس.

أمّا المسوغ الصوتي الذي ألجأ طيء إلى الانتقال من صوت فيه صفة العسر التي تناسبها إلى صوت فيه صفة اليسر التي ليس من طبيعتها، فغير واضح. وعلى الرغم من هذا الغموض فيمكن إيجاد المسوغ بضوء ما يقوله المحدثون. فقد قالوا[169]:

1. يُجهر بالهاء في بعض الظروف اللغوية الخاصة، وفي هذه الحالة يتحرك الوتران الصوتيان. ولهذا تكون طيء قد جهرت بالهاء تبعاً للظرف الصوتي المحيط بها.
2. إنَّ هذا الإبدال بين الهمزة والهاء ليس من التغيير الصوتي، وإنَّما هو خاصة سامية تأثرت بها لهجة طيء. فقد كانت (إن) الشرطية تنطق هاء أُولى في اللغة الأوجريتية وفي الآرامية والمنوية والقتبانية. كما يناظر (أن) العربية في العبرية (هن).

إبدال الألف

الألف والميم

المعروف: أقهى عن الطعام: إذا لم يشته الطعام. وقبيلة أسد تبدل الألف ميماً فتقول: أقهم الطعام. وقد جاء في شعر أبي الطمحان القيني الأسدي ما يؤيد لهجة قبيلته في هذه الصفة.

فهو يقول:

وأصبحت قد أقْهَمن عني كما أبت حياض الإمدّان الهجان القوامح[170]

والعلاقة الصوتية بين الألف والميم واضحة جلية، فإنَّ كلاً منها صوت مجهور. ويختلف الألف عن الميم في أنَّ الأول رخو، في حين إنَّ الثاني متوسط بين الشدَّة والرخاوة.

والمسوغ الصوتي لانتقال أسد من الصوت الرخو إلى الصوت المتوسط كون هذه القبيلة من قبائل المتبدية التي تؤثر الأصوات التي فيها عسر على الأصوات ذات اليسر.

الألف والياء

الأذان: هو المعروف. وبنو نمير يبدلون الألف ياء فيقولون الأذين ويؤيد هذا ما جاء في شعر الراعي النُميري:

فلم يشعر بضمد الصبح حتى سمعنا في مساجدنا الأتينا(171)

والألف والياء صوتان مجهوران رخوان من أصوات اللين، فالعلاقة الصوتية بينهما قوية. وأمّا المسوغ الصوتي لميل بني نُمير إلى الياء، أنَّ تلك القبيلة نطقت مثل الحضر الذين يؤثرون الكسر لأنَّه علاقة الرِقَّة.

الهوامش

(1) ينظر: اللسان: 17/ 168.
(2) إبدال أبي الطيب: 558/2، أمالي القالي: 79/2، واللسان: 168/17، والمزهر: 221/1.
(3) ينظر: في اللهجات العربية: 110.
(4) لسان العرب: 164/11، واللهجات العربية في التراث: 368/2.
(5) إبدال أبي الطيب: 557/2، وأمالي القالي: 89/2.
(6) إبدال أبي الطيب، 555/2
(7) ينظر: في اللهجات العربية: 110.
(8) التهذيب: 690/15.
(9) اللسان: 95/11.
(10) اللهجات العربية في التراث: 415/1.
(11) إبدال أبي الطيب: 6/1.
(12) إبدال أبي الطيب: 32/1.
(13) ينظر: اللهجات العربية: 108.
(14) إبدال ابن السكيت: 70.
(15) إبدال أبي الطيب: 67/2.
(16) ينظر: المخصص: 95/3.
(17) اللسان: 332/2.
(18) اللسان: 470/4، الأصوات اللغوية: 128.
(19) المصباح: 889.
(20) إبدال أبي الطيب: 190/1، وهمع الهوامع: 75.
(21) المخصص: 270/13.
(22) اللسان: 152/9 – 153، والمخصص: 270/13.
(23) إبدال أبي الطيب: 170/1 – 171.
(24) إبدال أبي الطيب: 186/1.
(25) الأصوات اللغوية: 133.
(26) إبدال أبي الطيب: 206/1.
(27) اللسان: 45/1.
(28) الأصوات اللغوية: 64 – 65.
(29) اللهجات العربية في التراث: 2/ 457 – 458.
(30) إبدال أبي الطيب: 241/1.
(31) أمالي القالي: 238/2، اللسان: 61/6 – 62.

(32) إبدال أبي الطيب: 287/1.
(33) سر صناعة الإعراب: 246/1.
(34) البحر: 323/5، اللسان: 329/1.
(35) يوسف: 35.
(36) ينظر: في اللهجات العربية: 108 – 109.
(37) رابين: اللهجات العربية الغربية: 154.
(38) اللهجات العربية الغربية: 153.
(39) إبدال أبي الطيب: 293/1.
(40) إبدال أبي الطيب: 316/1.
(41) إبدال أبي الطيب: 317/1.
(42) اللسان: 135/3.
(43) إبدال أبي الطيب: 328/1.
(44) إبدال أبي الطيب: 328/1.
(45) اللهجات العربية في التراث: 303/1.
(46) ينظر: فصول في فقه اللغة: 131 – 132.
(47) إبدال أبي الطيب: 353/1، اللسان: 139/11 – 140.
(48) إبدال أبي الطيب: 370/1 – 371.
(49) إبدال أبي الطيب: 372/1.
(50) الأصوات اللغوية: 53.
(51) إبدال أبي الطيب: 380/1 – 381.
(52) إبدال أبي الطيب: 388/1 – 389.
(53) الأصوات اللغوية: 49.
(54) إبدال أبي الطيب: 356/1.
(55) اللسان: 90/3.
(56) إبدال أبي الطيب: 17/2.
(57) ينظر: الأصوات اللغوية: 48 – 49.
(58) إبدال أبي الطيب: 32/2 – 33.
(59) إبدال أبي الطيب: 57/2.
(60) الأصوات اللغوية: 52 – 55.
(61) إبدال أبي الطيب: 60/2 – 61.
(62) اللسان: 234/2.
(63) اللسان: 234/2، وفي اللهجات العربية: 103.

(64) إبدال أبي الطيب: 366/1، واللسان: 33/18.
(65) إبدال أبي الطيب: 111/2.
(66) إبدال أبي الطيب: 124/2 – 125.
(67) اللسان: 307/7.
(68) اللسان: 388/2، مختصر الشواذ: 183.
(69) الكتاب: 428/2، اللسان: 307/7.
(70) ينظر: في اللهجات العربية: 105 – 106.
(71) اللسان: 363/2.
(72) رابين: اللهجات العربية الغربية: 354.
(73) سر صناعة الإعراب: 208/1.
(74) إبدال أبي الطيب: 155/2 – 156.
(75) سر صناعة الإعراب: 215/1 – 216.
(76) ابن يعيش: 51/10 – 55، وسر صناعة الإعراب: 201/1، واللهجات: العربية في التراث: 446/2 – 447.
(77) اللسان: 13/2
(78) اللسان: 185/9، وسر صناعة الإعراب: 220/1.
(79) إبدال أبي الطيب: 175/2 – 176.
(80) اللسان: 504/3، 4/4.
(81) اللسان: 335/10.
(82) إبدال أبي الطيب: 216/2.
(83) الكتاب: 401/2.
(84) الأصوات اللغوية: 152.
(85) إبدال أبي الطيب: 157/2.
(86) إبدال أبي الطيب: 220/2.
(87) اللسان: 332/4.
(88) إبدال أبي الطيب: 26/2.
(89) سر صناعة الإعراب: 208/1.
(90) اللسان: 205/12.
(91) ينظر: في اللهجات العربية: 104.
(92) إبدال أبي الطيب: 220/2.
(93) إبدال أبي الطيب: 243/2 – 244.
(94) اللسان: 413/13.

(95) اللسان: 135/3.
(96) ينظر: في اللهجات العربية: 133.
(97) الأصوات اللغوية : 128 – 129.
(98) إبدال أبي الطيب: 306/2 – 307.
(99) إبدال أبي الطيب: 314/2 – 315.
(100) إبدال أبي الطيب: 314/2 – 315.
(101) ينظر: فصول في فقه اللغة: 121 – 123، المزهر: 222/9.
(102) اللهجات في التراث: 386/1، وفي اللهجات العربية: 141 – 142.
(103) الكوثر: 1
(104) سورة محمد: 47.
(105) للسان: 206/20.
(106) ديوانه: 12 والبحر: 519/8.
(107) في اللهجات العربية: 141.
(108) في اللهجات العربية: 141.
(109) فصول في فقه اللغة: 120 – 121.
(110) رابين: اللهجات العربية الغربية: 155.
(111) إبدال أبي الطيب: 334/2 – 335.
(112) المخصص: 125/5، اللسان: 11/2، 95/11.
(113) اللسان: 117/2.
(114) اللسان: 117/2.
(115) المخصص: 286/13.
(116) إبدال أبي الطيب: 194/1.
(117) إبدال أبي الطيب: 337/2.
(118) اللسان: 275/8.
(119) إبدال أبي الطيب: 229/1.
(120) الضحى: 9، وينظر: إبدال ابن السكيت: 114، وإبدال أبي الطيب: 356/2، والمزهر: 330/1.
(121) إبدال أبي الطيب: 369/2.
(122) اللسان: 348/2.
(123) إبدال أبي الطيب: 343/1.
(124) في اللهجات العربية: 121.
(125) سر صناعة الإعراب: 216/1 – 217.
(126) ينظر: سر صناعة الإعراب: 217/1، ومجالس ثعلب: 116/1.

(127) في اللهجات العربية: 129.
(128) إبدال ابن السكيت: 113 – 114، والصحاح: 1155/3.
(129) التكوير: 11، وينظر: مختصر الشواذ: 169.
(130) إبدال أبي الطيب: 406/2.
(131) إبدال أبي الطيب: 421/2.
(132) ينظر: الأصوات اللغوية: 152.
(133) اللسان: 138/18.
(134) إبدال ابن السكيت: 70.
(135) إبدال ابن السكيت: 77.
(136) إبدال أبي الطيب: 425/2.
(137) إبدال أبي الطيب: 453/2 – 454.
(138) إبدال أبي الطيب: 461/2.
(139) اللسان: 396/2.
(140) اللهجات العربية الغربية: 362.
(141) اللهجات العربية الغربية: 362.
(142) إبدال أبي الطيب: 473/2.
(143) إبدال أبي الطيب: 458/2، واللسان: 407/16، والمخصص: 19/14.
(144) إبدال أبي الطيب: 458/2.
(145) اللسان: 201/17.
(146) الواقعة: 65.
(147) إبدال أبي الطيب: 527/2.
(148) إبدال ابن السكيت: 95، وسر صناعة الإعراب: 192/1.
(149) في اللهجات العربية: 128.
(150) إبدال ابن السكيت: 95.
(151) إبدال ابن السكيت: 196.
(152) ابن يعيش: 66/9.
(153) فصول في فقه اللغة: 132، في اللهجات العربية: 126.
(154) في اللهجات العربية:
(155) اللسان: 160/1.
(156) اللسان: 165/6 – 166.
(157) إبدال أبي الطيب: 497/2.
(158) في اللهجات العربية:

(159) البحر المحيط: 30/1، واللسان: 22/1.
(160) المحتسب: 47/1.
(161) القراءات القرآنية: 126 – 128.
(162) الرحمن: 39.
(163) إبدال أبي الطيب: 545/2.
(164) الكتاب: 285/2.
(165) اللسان: 328/20.
(166) إبدال أبي الطيب: 421/2.
(167) الأصوات اللغوية: 152.
(168) اللسان: 178/16.
(169) اللهجات العربية الغربية: 356.
(170) اللسان: 69/19.
(171) اللسان: 149/16.

المصادر والمراجع

1. الإبدال، أبو الطيب عبد الواحد بن علي، تحقيق عز الدين التنوخي، المجمع العلمي العربي بدمشق، 1379هـ ـ 1960م.
2. الإبدال، يعقوب بن السكيت، تحقيق حسن محمد شرف، القاهرة، 1318هـ ـ 1978م.
3. الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1376هـ ـ 1956م.
4. الاقتراح، جلال الدين السيوطي، ضبط وشرح الدكتور أحمد سليم الحمصي، والدكتور محمد أحمد، طبعة جروس برس 1988م.
5. الأمالي، أبو علي القالي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1975م.
6. البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف، دا الفكر، ط2، 1398هـ ـ 1978م.
7. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن احمد الأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
8. ديوان الأعشى الكبير، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة.
9. سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق مصطفى السقا وجماعته، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.

10. شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد، ط1، مطبعة الأنجلو المصرية.
11. شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش، عالم الكتب، بيروت.
12. شواذ القرآن، ابن خالويه، نشر. ج. برجشتراسر، دار الهجرة.
13. الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار الكتاب العربي بمصر.
14. العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، و د. مهدي المخزومي، دار الرشيد، بغداد، 1982م.
15. الفائق في غريب الحديث، جار الله محمود الزمخشري، تحقيق علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
16. فصول في فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ ـ 1987م.
17. في اللهجات العربية، د. إبراهيم انيس، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4.
18. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط3، 1371هـ ـ 1952م.
19. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، مطبعة الخانجي القاهرة.
20. الكتاب، سيبويه، مطبعة بولاق بمصر، ط1، 1317هـ.
21. الكشّاف، الزمخشري، ترتيب وضبط وتصحيح مصطفى حسين أحمد، ط2، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، 1373هـ ـ 1953م.
22. لسان العرب، جمال الدين بن منظور، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
23. اللهجات العربية الغربية، رابين، ترجمة عبد الرحمن أيوب، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، 1986م.

24. اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي، الـدار العربيـة للكتاب، ليبيا، تونس، 1398هـ ــ 1978م.
25. المحتسب في القراءات الشاذَّة، أبو الفتح عثمان بن جنـي، تحقيـق علـي الجندي، و د. عبد الفتاح إسماعيل، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ ــ 1988م.
26. المخصص، ابن سيده، دار صادر، بيروت.
27. المزهر، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المـولى، وعلـي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
28. معاني القرآن، يحيى بن زياد الفرَّاء، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1980م.